

منهج من مناهج التربية النبوية

الصحبة وآدابها

عثمان نوري طوبّاش



دار الأرقم



اسطنبول ١٤٤٠هـ/ ٢٠١٩م

إسطنبول: ١٤٤٠هـ/ ٢٠١٩م
إسم الكتاب باللغة التركية: SOHBET VE ADABI
إسم الكتاب باللغة العربية: الصحبة وآدابها
الترجمة للعربية: خليل أوروت.
مراجعة وتصحيح وتدقيق: محمد عز الدين سيف.
تصميم وتنضيد: حسام يوسف
ISBN:٩٧٨٦٠٥٣٠٢٥٨٢٥
Language : Arabic

طباعة وتغليف: مطبعة دار الأرقم

العنوان:



Address : Ikitelli Organize Sanayi Bölgesi Mahallesi
Atatürk Bulvarı Haseyad 1. Kısım No: 60/3-C
Başakşehir - İstanbul / TURKEY
Phone : +90 212 671 07 00 (Pbx)
Fax : +90 212 671 07 48
E-mail : info@islamicpublishing.org
Web site : www.islamicpublishing.org

منهج من مناهج التربية النبوية

الصحبة وآدابها

عثمان نوري طوباش



مُقَدِّمَة

الحمد والشكر لله الكريم المتعال الذي أكرمنا بشرف العبودية له، وشرَّع لنا بالتربية الروحانية باب بلوغ مرضاته، وبعث إلينا محمداً نبياً رحيماً ومعلماً مرشداً ليربينا ويزكي قلوبنا خير تزكية.

والصلاة والسلام على رسول الله الرؤوف بأمته، الذي لم يدع سبيلاً لتقديم الخير لهم والتيسير عليهم إلا سلكه، ولا طريقاً يقربهم إلى الله العلي القدير إلا دلهم وأرشدهم إليه؛ وعلى آله وصحبه ومن والاه.

أما بعد،

فإن العبودية الحقة تبدأ أول ما تبدأ بالتعرف إلى الحق سبحانه وتعالى بالقلب؛ أي تبدأ بنيل نصيب من معرفة الله وبعيش حياة تزينها التقوى.

وأما التقوى فإنها شعور قلب المرء أنه في كل حركاته وسكناته في نظر الله تعالى، أي تحت مراقبة آلات



التصوير الإلهية؛ وذلك عبر القضاء على الشهوات والرغبات النفسية وشحذ الطاقات الروحانية. ويحتاج المرء للوصول إلى هذه الحال السامية إلى جملة من التدريبات والممارسات التصوفية. مثل: تزكية النفس، وتطهير القلب.

وأما الارتقاء في التصوف؛ أي السير قدماً على طريق النضوج والكمال الروحي فيكون بفهم أحكام الإسلام قلباً وفكراً. فقد أخبرنا الله تعالى صراحةً بالحدود التي علينا حفظها، وعدم الاعتداء عليها مدى الحياة. ويأتي على رأس هذه الحدود الالتزام بما جاء به الله ورسوله وعدم الانحراف عنه أو تجاوزه؛ إنه أدب اتباع الإنسان للأحكام التي شرعها الله ورسوله بشأن أي مسألة من المسائل وعدم تخطيها والتقدم عليها، ومعرفة حجمه وحدِّه، ثم الامتناع عن محاولة اختلاق أحكام أخرى مخالفة. يقول الحق سبحانه وتعالى في كتابه العزيز:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [1]

---

١ الحجرات: ١.

وقد كان الصحابة الكرام رضوان الله عليهم يعبرون عن تسليم أمرهم لله ورسوله بقولهم كل حين: «سمعنا وأطعنا».

وعلى ذلك فإن أهم أدب من آداب عبوديتنا هو تنظيم كل ناحية من نواحي حياتنا بصورة تتوافق مع ما بيَّنه الله ورسوله.

إن أعظم نعمة أكرمنا الله تعالى بها هي نعمة الإيمان. وعلينا مقابل ذلك بذل أقصى جهدنا لدفع ثمن هذه النعمة، وأداء واجب الحمد والشكر لله ﷻ بما يليق به، إذ من العبث والباطل ادعاء ملكية شيءٍ لم يُدفع ثمنه.

وأهم نعمة بعد الإيمان هي كوننا من أمة رسول الله عليه الصلاة والسلام. وأداء دين شكر هذه النعمة يكون بالتشبه بالنبي عليه الصلاة والسلام والاقتداء به، واتخاذ أحواله ميزاناً لأحوالنا.

ويُعد التصوف بشكل ما «فنَّ التشبه برسول الله عليه الصلاة والسلام». وهذا هو التقوى، والإحسان، والزهد من حيث الجوهر... أي ارتقاء القلب من الإيمان إلى الإحسان، والابتعاد عن منافع الدنيا وأهواء النفس.



فالتصوف ليس حب السعي وراء تحصيل الخوارق والكرامات، ذلك أن الكرامة هي لإحداث تأثير يشبه تأثير الصدمة الكهربائية على المشكك الذي يحمل شبهة في قلبه. فالأولياء الصالحون كانوا دائماً ما يتجنبون ويتورعون عن إظهار الكرامات، لخشيتهم الشديدة من الوقوع في فخ النفس والأنانية. وقد ذكر الله ﷻ في القرآن الكريم لوحة تفيض بالعبرة بشأن هذه الحال، وهي العاقبة الوخيمة والمحزنة لبلعام بن باعوراء الذي سقط ضحية لمصيدة النفس التي يخشاها أهل الله.[٢]

إن التصوف هو فن تحقيق العبودية لله تعالى، وتطبيق أحكام الإسلام بشغف وحب، والارتقاء على سلم الرحمة والشفقة حتى الوصول إلى مرتبة ينظر فيها الصوفي إلى المخلوقات بعين الخالق؛ أي تفيض الرحمة والشفقة من قلبه إلى كافة المخلوقات.

لقد علمنا الرسول ﷺ العبودية لله ﷻ. علمنا التأمل في آيات الله تعالى والنظر بعين الاعتبار إلى آثار القدرة الإلهية في الكون وتجلياتها، وقول «يا رب» بمنتهى

٢ انظر: الأعراف: ١٧٦. كان هذا الرجل مؤمناً بموسى عليه السلام، إلا أنه انزلق إل الكفر سعياً خلف المنافع الدنيوية.

مشاعر التواضع والفقر والخضوع لله. وذلك من خلال إنقاذنا من مستنقع المنافع والأنانية، وتخليصنا من العبودية لأهواء النفس وشهواتها... وقد وصل الصحابة الكرام إلى هذا المقام القلبي بالتربية التي تلقوها منه عليه الصلاة والسلام.

فهذا الطريق هو طريق التصوف. إنه طريق التشبه به عليه الصلاة والسلام... طريق الاقتداء به في الاعتقاد، والعبادات، والمعاملات، والعقوبات. إنه باختصار طريق التشبه به في كل أمر... وأهم وسيلة يستعملها المرء على هذا الطريق هي محبة النبي عليه الصلاة والسلام ومعرفته عن قرب.

لقد أشار مولانا خالد البغدادي رحمه الله إلى أن التربية الصوفية لا تكون إلا من خلال الالتزام بحدود الشرع الحنيف، ولم يقبل أبداً بالانحرافات والشطحات التي تتولد عن المحبة والعاطفة المفرطة. فأقام أساس التصوف على فهم الشريعة فكراً وقلباً واستيعابها. والمحبة أهم واسطة للتقدم والارتقاء في التصوف، لذلك شهدت مراحل التاريخ من حين لآخر أخطاء وانحرافات كثيرة نابعة عن الإفراط في هذه المحبة.



إن أهم الشروط الأساسية التي ينبغي مراعاتها في تربية صوفية حقيقية هي:

١- الالتزام بالسبيل الذي أرشدنا إليه القرآن الكريم والسنة النبوية.

فالوِرد الأول العملُ على نقل القرآن الكريم والسنة النبوية إلى ميدان حياتنا، وجعلهما يغطيان كل جانب من جوانبها. فمن الضروري بذل الجهد لتطبيق أحكام القرآن والسنة حتى تنتشر أنوار الإسلام في كافة زوايا حياتنا وحياة من نحن مسؤولين عنهم.

فعلى المرء مراجعة نفسه في هذا المجال دائماً ليرى:

- هل هو داخل الحقول التي حرمها الله تعالى أم لا؟
- ما مدى مراعاته حدود الحلال والحرام في الأرباح التي يحققها إن كان يعمل بالتجارة؟
- ما هو وضع أبنائه الروحي؟ وما المجال الدراسي الذي يوجههم إليه؟ وهل تسمم وسائل مثل الإنترنت والتلفزيون حياة أبنائه المعنوية أم لا؟
- هل الأولوية في قلبه للآخرة التي هي الحياة الأبدية، أم نعيم الدنيا الزائلة؟

فالوِرد الأول للإنسان المؤمن الذي سلك طريق السير والسلوك هو مراجعة نفسه من حين لآخر وإجراء محاسبة ذاتية بشأن هذه الأمور المذكورة آنفاً. وإن كان هناك تقصير أو إهمال في هذا المجال، فلا يتأملن المرء بتحصيل الفيوض والروحانية من وسائل الترقي المعنوية الأخرى مثل الأوراد التي يتبعها في الأسحار.

إن إهمال المرء السالك طريق التصوف لتطبيق الإسلام في حياته يشبه تماماً سكب الخل فوق العسل. فالأمر الأهم والذي يحتل قائمة الأولويات في طريق التصوف هو «استيعاب الأحكام الشرعية وفهمها بشكل تام قلباً وفكراً».

٢- الاختلاء في جلسات فيض وروحانية مع الخالق سبحانه خاصة في الأسحار، وانشغال القلب بالذكر، والاستغفار، والمراقبة، والدعاء.

ثم بعد ذلك من الضروري نقل هذه الفيوض والروحانية الليلية إلى النهار لتظلل بظلالها سائر نواحي الحياة من ميادين العمل، والتجارة، والعلاقات الأسرية والاجتماعية وغيرها.



٣- السعي في الأعمال والخدمات المعنوية.

إن أبرز مظهر من مظاهر الإيمان هو الشفقة والرحمة. والمقياس الذي يشير إلى مستوى الرحمة هو الخدمة. فليس في الإسلام الاكتفاء بتحقيق السعادة والطمأنينة الفردية ثم الابتعاد عن المجتمع والانزواء في ناحية ما. فالنبي عليه الصلاة والسلام كان دائماً مع الأمة وفي قلب الأحداث التي تجري في المجتمع. وكان يفرح لفرحهم، ويحزن لحزنهم. لهذا فإن التصوف يتوقف ملياً عند هذا الأساس أو المبدأ:

«على المؤمن الذي يوصل نفسه إلى الكمال التوجه إلى المخلوقات وبذل الجهد لإكمال نواقصها».

٤- المداومة على مجالس الصحبة.

يُعد الإنسان أكثر الكائنات حاجة إلى التربية. لهذا فإن أعلى الفنون درجة في الحياة هو إعداد وتنشئة الإنسان الناضج. وتأتي مجالس الصحبة على رأس النقاط التي تتلاقى فيها هذه الحاجة المهمة والوظيفة.

وأما الشرط الأول لتحقيق الفائدة المرجوة من الصحبة الروحانية التي هي إحدى الوسائل المهمة



للغاية على طريق الكمال والنضوج المعنوي فهو إدراك وفهم ماهيتها فهماً صحيحاً.

وإننا في هذا المؤلف المتواضع سوف نتوقف على أهمية منهج تربوي نبوي وهو الصحبة التي تُعد إحدى السنن المهمة، وضرورتها، وماهيتها، وآدابها.

ونقدم لقرائنا الأعزاء هذا المؤلف الذي بين أيديكم متضمناً تصنيفاً لبعض المعلومات المتعلقة بموضوعنا والتي سبق ذكرها في مؤلفاتنا الأخرى، مع جملة من الإضافات الجديدة. وأقدم بهذه المناسبة شكري العميق للدكتور مراد كايا الذي يُعد مثل أولادي على الجهود التي بذلها في إعداد هذا المؤلف، وأسأل الله العلي القدير أن يسجلها له صدقة جارية في صحيفة أعماله.

وما أجمل قول الشاعر حين يقول:

سوف يأتي يوم لا يبقى فيه جسد ولا منزل ولا ديار

لا يبقى إلا صحبة الأحباب في القلوب...

أسأل المولى ﷻ أن يجعل فيوض المصاحبات القلبية منبعاً لروحانية أعمارنا. وأسأله تعالى أن يرزقنا بهذه المصاحبات نصيباً من أحوال المؤمنين الصالحين

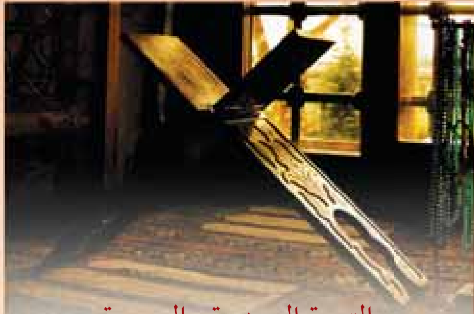
الصادقين؛ وأن يوفقنا لفهم ما يُلقى من أحاديث في تلك المجالس فهماً سليماً، وأن يكسو أحوالنا وأفعالنا بكسوة الإخلاص والتقوى.

آمين!

عثمان نوري طوبَّاش

كانون الثاني/ يناير ٢٠١٠

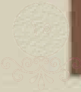
إسطنبول- أُسكدار



التربية المعنوية والصحبة

إن "الصحبة" تأتي في قائمة الوسائل المستخدمة في التربية المعنوية لإحداث تأثير في روح الإنسان وقلبه. والذي يجعل الصحبة مؤثرة إنما هو "الإخلاص". ولا يمكن نقش الكلمات المحملة بالمعاني في القلوب، وإنضاج شخصية المخاطبين، وعكسها على سلوكهم وتصرفاتهم إلا عبر الإخلاص.

ففي الصحبة التي تكون بإخلاص تبدأ القلوب باغتراف الفوائد والبركات من بعضها- تماماً مثل مبدأ الأواني المستطرقة- ويحدث سريان الحال وتبادل التأثيرات. ومع مرور الزمن تصبح الأذواق، ومشاعر الكره والمحبة، والعواطف، والآراء متشابهة.



التربية المعنوية والصحبة

١ – أهمية الصحبة

بين كلمة "الإنسان"، و"النسيان"، و"الأنس" علاقة قريبة من ناحية المعنى. فالله تعالى خلق الإنسان وجعل له طبيعة يحتاج معها دائمًا إلى التربية، والتعليم، والتلقين، والتذكير. وهو بحاجة إلى التربية لتحقيق النضوج المعنوي وبلوغ الكمال.

فالإنسان الذي لا يخضع للتربية ينسى مع مرور الزمن الخصال الجميلة التي يمتلكها ويفقدها. فيصبح تماماً مثل الأرض المهملة المتروكة التي تصبح مرتعاً للأشواك والشجيرات الضارة. فمن خلال التربية يصبح الإنسان حتى وإن كان بغاية الغلظة والجلافة شخصاً إسلامياً مرهف الإحساس، وبالغ الكمال واللطف والرقة، مثله كمثل نحت قطعة فنية بغاية الجمال من جذع شجرة متيبسة ملقاة جانباً.



يقول رسول الله ﷺ في الحديث الشريف:

«ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهوِّدانه، وينصِّرانه، كما تنتجون البهيمة، هل تجدون فيها من جدعاء، حتى تكونوا أنتم تجدعونها؟» [٣]

ويقول الإمام الغزالي رحمه الله تعالى:

«الإنسان كشمع العسل. يشكَّل عن طريق التربية بالشكل المراد».

وأجلى مثال على ما تقدم هو حال الصحابة الكرام، إذ تحول كل صحابي عبر التربية النبوية التي تلقوها على يد رسول الله ﷺ من إنسان جاهلي فظ الطباع إلى إنسان فياض قلبه بالرحمة والمحبة والمعرفة.

لقد نشأ وتربى الصحابة الكرام بإعداد وتربية ذات جانبين، فتلقوا تربية الظاهر والباطن، وتربية مادية ومعنوية. ذلك أن انسجام المادة والمعنى في تربية الإنسان الذي يمتلك بنية مزدوجة كالروح والبدن أمر ضروري. فالتربية التي تكون بإغفال الجانب المعنوي تكون ناقصة ومعيبة. ومثل الإنسان الذي يُربَّى من جانب

٣ البخاري، الجنائز، ٨٠/ ٦٥٩٩؛ مسلم، القدر، ٢٢، ٢٣.



واحد كمثل الطير الذي يحاول الطيران بجناح واحد، فهو معرض في كل لحظة لأن يكون فريسة ولقمة سائغة للقطط الجائعة المتربصة به.

تحتل «الصحبة» قائمة الوسائل المستخدمة في التربية المعنوية لإحداث تأثير على روح الإنسان وقلبه. وتُعد الصحبة من أهم مناهج التربية والتزكية التي اتبعها رسول الله ﷺ. فقد أعد أصحابه الكرام ورباهم بالصحبة، لأن الله تعالى خاطبه قائلاً:

﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمؤْمِنِينَ. وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [٤]

فمجالس الصحبة منهج تربوي سام يتم أداؤه بمقتضى هذا الأمر الإلهي وأمثاله باتباع أسلوب بمنتهى اللطف واللين، بحيث يبعث الطمأنينة والرقة والسكينة في القلوب من خلال تزويدها بالعلوم والحكم والعبر والعظات.

---

٤ الذاريات: ٥٥- ٥٦.

• مجالس الصحبة سنة نبوية

إن كلمتي «صحابي» و«صحبة» مشتقتان من مصدر واحد. ولا ريب أن التقارب في المعنى بين هاتين الكلمتين ليس من المصادفة. فأحد أهم الأمور التي جعلت الصحابة صحابة هو نيلهم حظاً وفيراً من بركة صحبة النبي عليه الصلاة والسلام. والحق أن الصحابة الكرام بمحبتهم، وتقديرهم، وإجلالهم الكبير لرسول الله وتأدبهم الرفيع معه صاروا نموذجاً حياً مثالياً للفائدة المرجوة من التربية والصحبة والمعنوية. ولهذا يمكننا القول إن «الصحبة سنة مؤكدة».[5]

والصحبة التي تُقام بحس العبادة وتحاط بهالة من الفيوض والروحانية تُعد كنسمات الرحمة التي تهب من مجالس صحبة نبينا عليه الصلاة والسلام على عصرنا هذا، وامتداد للذة ذلك العصر المبارك.

فقد قال رسول الله ﷺ:

«...ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله تعالى، يتلون

---

٥ السنة المؤكدة: هي كل الأمور غير الفرض والواجب التي واظب النبي ﷺ على فعلها، ولم يتركها إلا نادراً ليبين أنها ليست بالأمر القطعي.

كتاب الله ويتدارسونه بينهم، إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده...» [٦]

لهذا فإن أجمل صحبة هي التي يكون موضوعها الآيات القرآنية والأحاديث النبوية. ومجالس الصحبة التي يتداعى فيها عباد الله للاجتماع ويزينوها بآيات القرآن وأحاديث النبي ﷺ تلقى رضاً واستحساناً من الله تعالى، إذ يثني على هؤلاء العباد ويمدحهم أمام الملائكة عنده، وبذلك تدعو الملائكة المقربون إلى الله لهؤلاء الحاضرين في مجالس الصحبة.

ويكون الحاضرون في هذه المجالس قريبين من نيل العفو الإلهي أيضاً. وتحف بهم ملائكة الرحمة من كل جانب لتشكل حولهم حلقة تمتد من الأرض إلى السماء، وتحفظهم من شر أو خطر قد يعترضهم. وتبث في الحاضرين لمجالس الصحبة انفتاحاً في الذهن وانشرحاً في القلب.

وجاء في كتاب «التأويلات النجمية»:

---

٦ مسلم، الذكر، ٣٨/ ٢٦٩٩؛ أبو داود، الوتر، ١٤/ ١٤٥٥.



من المدهش مكوث موسى وهارون عليهما السلام مع بني إسرائيل في الصحراء مدة أربعين عاماً وصبرهما عليهم على الرغم من سوء معاملتهم لهما، وتظليل بني إسرائيل بالغمامة ببركة مقام هذين النبيين الرفيع عند الله تعالى، وإنزال المن والسلوى عليهم من السماء في هذه الصحراء القاحلة. وهذه الحال أجمل مثال على بركة معية الصالحين من جهة، والتأثير السيء لصحبة الفسقة والفجرة من جهة أخرى.[7]

- **تُقدَّم في مجالس الصحبة وصفة معنوية**

كلما ازداد الإحساس بالعبادة في انعقاد مجالس الصحبة، ازداد ظهور التجليات المعنوية. وتُعد المجالس بشكل ما وصفة موجهة للمقصودين بها. فالكتب مثل نظارات غير مرقمة، فهي رسائل موجهة إلى مجاهيل ولا يُعلم بأيدي من ستقع. وأما المجالس فهي نظارات مرقمة، حيث يتم في الصحبة ضبط الكلمات والقلوب حسب المخاطبين المقصودين بها. فالقلب الذي يلقي الحديث في الصحبة يُضبَط ليتلاءم مع قلوب المخاطبين،

٧ البورصوي، روح البيان، ٤/ ٤١٦.



وحاجاتهم، وأحوالهم، ومستواهم؛ وهذه هي الصحبة الحقيقية. أي إن الصحبة الحقيقية هي حال كشف خفي.

وتُشكل طبيعة الصحبة حسب وضع المخاطبين، وترد الظهورات حسب الحال القلبية للمخاطبين. أي إن كل شخص يدرك في الصحبة المقبولة عيوبه ومواضع تقصيره، ثم يأخذ منها الوصفة التي تعينه على تلافيها ومعالجتها. وبذلك فإنه يزيد من شوقه وجهوده على طريق القرب من مرضاة الحق سبحانه وتعالى.

والذي يحدد أحوال الإنسان وتصرفاته وأفعاله هو الإحساس، أي الأحاسيس الكامنة في قلبه أكثر من الفكر. وفي الصحبة أيضاً الإحساس غالب على التفكر. أما في قراءة الكتاب فإن التفكر يتغلب على الإحساس. ولهذا لا ينبغي النظر إلى الصحبة على أنها نشاط مشابه لقراءة كتاب ما فحسب.

وأهم نتيجة لمجلس الصحبة وأكثرها بركة هي سريان الحس الإيجابي بين الحاضرين فيها وانتقالها من الواحد إلى الآخر. وقد صار الصحابة الكرام جيلاً قدوةً في الفضيلة والعرفان لأنهم تلقوا نعمة سريان الحال من النبي ﷺ.

لذلك لن يأتي جيل أو شخص صالح بعد الصحابة يتفوق أو يبلغ درجتهم في الفضل حتى وإن كان متعبداً أكثر منهم. ففي الصحبة، أي في حال تناغم وتوافق قلب الملقي مع قلب المخاطب تبدأ القلوب باغتراف الفوائد والبركات من بعضها – تماماً مثل مبدأ الأواني المستطرقة –. ويحدث سريان الحال وتبادل التأثيرات. ومع مرور الزمن تبدأ الطبيعة القلبية للأشخاص بالتماثل مع بعضها. فتصبح الأذواق، ومشاعر الكره والمحبة، والعواطف، والآراء متشابهة إلى درجة التوحد.

لهذا فإن النبي عليه الصلاة والسلام عندما أعد وربى أصحابه اتبع معهم منهج الصحبة. أي إنه ربى أصحابه وأعدهم بالصحبة التي تكون وجهاً لوجه، صدراً لصدر؛ وليس بالنصوص التي تُقرأ من السطور فحسب...

إن مجالس الصحبة تبث في القلوب المشتاقة رهافة الحس، ورقة المشاعر، واللطف، واللين. لهذا فإن الصحبة أجمل فرصة لتحقيق الترقي المعنوي.

ومَثَل مجالس الصحبة التي تنعقد وتجري بمعناها وشكلها التام كمثل الشموع التي تشتعل وتتقد الواحدة



من الأخرى. إذ إن المصاحبات التي تُعد غذاءً للقلوب والأرواح تقرب الناس من بعضهم وتخلق حالاً من المحبة السامية. وبذلك فإن كل واحد من الحاضرين في تلك المجالس المباركة يستقي ويستفيد معنوياً من الآخرين. لهذا فإن لحظات الصحبة التي يتواصى فيها الحاضرون بالحق، والخير، والفضيلة، وبالصبر والثبات في سبيل الله تُعد لحظات نادرة وفرصة استثنائية لتتخلص فيها الإنسانية من حال الضياع والخسران والشتات التي تعاني منها، وتحقق الفوز الأبدي. يقول الحق ﷻ:

﴿وَالْعَصْرِ. إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ. إِلَّا الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ [8]

لقد جعل الله ﷻ المؤمنين إخوة، وأقام بينهم رابطة وثيقة. لهذا جعلهم مسؤولين عن بعضهم حتى في الأمور المعنوية، إذ يقول الحق تعالى في كتابه العزيز:

﴿وَالْمؤْمِنُونَ وَالْمؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمنْكَرِ...﴾ [9]

---

٨ العصر: ١–٣.

٩ التوبة: ٧١.



﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمنْكَرِ ...﴾[10]

- **الصحبة لها مكانة مهمة في الطريقة النقشبندية**

إن مجالس الصحبة واحدة من مناهج التربية المعنوية المهمة. وتُعد إحدى أهم وسائل سريان الفيوض وانتقالها من قلب إلى آخر لدى كافة الطرق الصوفية وخاصة في الطريقة النقشبندية. يقول الولي الكبير شاه نقشبند رحمه الله:

«إن طريقة التربية لدينا قائمة على الصحبة. فالخيرات تكمن في الصحبة التي تُعقَد مع العباد الصالحين لوجه الله تعالى. وبالمداومة على مصاحبتهم يحصِّل المرء الإيمان الحقيقي».

فهذا يشير إلى أن الصحبة والاجتماعات أمر أساسي في الطريقة النقشبندية. ولهذا عُدَّت الخلوة القلبية مع الله وسط الجموع والحشود التي تبدو في الظاهر مكاناً للضجيج والضوضاء أفضل وأكثر قبولاً من الخلوة التي

١٠ آل عمران: ١١٠.



يلجأ إليها الإنسان وحيداً في مكان خال بعيد عن البشر. أي يتم حث الناس في هذه الطريقة على بذل الجهد للوصول إلى حال «الوحدة في الكثرة».

وقد أوليت أهمية كبيرة للذكر، والمراقبة، والخدمة أيضاً إلى جانب الصحبة للوصول إلى مرضاة الله تعالى.



يقدم العالم العثماني محمد خادمي الذي يُعد من كبار مشايخ النقشبندية النصيحة الآتية:

«اعمل على الإكثار من إخوة الآخرة! صاحبهم، واسعَ لزيارتهم وخدمتهم! أحببهم، وأحسن إليهم وساعدهم قدر ما تستطيع! فأنت بأولئك الإخوة أصحاب الأخلاق الحميدة تبلغ النضج والكمال، وبجلوسك معهم ومصاحبتك لهم تكتسب أخلاق الصالحين وأحوالهم وأعمالهم. وبكل الأحوال فالله تعالى يأمرك بصحبتهم ومجالستهم، إذ يقول:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾[11]

وكذلك قالوا:

---

١١ التوبة: ١١٩.



«كن مع الله، أي تذكره في كل زمان ومكان، واحرص على نيل رضاه! فإن لم تستطع، فكن بصحبة صالح مع الله! فإن كنت بصحبته، فإن فيضه وروحانيته توصلك إلى مرضاة الله».

وقال رسول الله ﷺ:

«**المرء كثير بأخيه** – أي يقوى معه –»[١٢]

«**ليس للرجل عن أخيه غنى، مثل اليدين لا تستغني أحدهما عن الأخرى**»[١٣]

«**مثل المؤمنَين إذا التقيا مثل اليدين تغسل إحداهما الأخرى**»[١٤]

كل ما ذكر يشير إلى أن المؤمنين إخوة، يعين بعضهم بعضاً في الخير والتقوى، ويحث بعضهم الآخر على حسن الأفعال ويتعاضدون في ذلك، ويكمل أحدهم نقص الآخر، ويصحح خطأه، ويستر عيبه، ويسدي إليه النصح والإرشاد بالحسنى.

---

١٢ العجلوني، كشف الخفاء، رقم: ٢٨٠٠.

١٣ الديلمي، الفردوس، ٣، ٤٠٩/ ٥٢٥١.

١٤ السيوطي، جامع الأحاديث، رقم: ٢١٠٢٨؛ الديلمي، الفردوس، ٤، ١٣٢/ ٦٤١١.



وقال رسول الله ﷺ في حديث آخر:

«**إن لقمان قال لابنه: يا بني، عليك بمجالسة العلماء، واسمع كلام الحكماء، فإن الله يحيي القلب الميت بنور الحكمة كما يحيي الأرض الميتة بوابل المطر**».[١٥]

ونظراً لهذه الأهمية الكبيرة للصحبة فقد رأى كبار المشايخ أن الصحبة أولى من الانشغال بالأوراد وصلوات النافلة.

فقد قال أحد المشايخ لطالب فطن:

«الزم مجلس أبي يزيد البسطامي! فحضورك صحبة مع أبي يزيد خير لك من الوصال الذي تحققه وحدك في اليوم سبعين مرة».

ويتابع الشيخ الخادمي وصاياه فيقول:

«إني أوصيك أن تقلل من صحبة أصحاب المراتب الدنيوية! وإياك أن تصاحب من لا يقرِّبك إلى الله! وابتعد عمن تعلق بالدنيا! فمن الثابت بالتجربة أن معيتهم مضرة ومسمومة. فهم ينتفعون منك، إلا أنك لا تكتسب من

---

١٥ السيوطي، جامع الأحاديث، رقم: ٨١٢٩؛ الهيثمي، ١، ١٢٥.



معيتهم إلا الخسران! لأن طبيعة الحال السريان، إذ تسري أحوال الذين يتصاحبون ويتآلفون إلى بعضهم البعض. والطبع ميال، إذ يميل الإنسان إلى التشبه بطباع الآخر واتباع غيره. والطبع كاللص، إذ يسرق من مزايا طباع الآخرين خلسة دون أن يدرك أو ينتبه صاحبه.

ولا تكن ممن أعرض عن ذكر الله وعن فعل الخيرات والأعمال الصالحة! فالله تعالى يقول في كتابه الكريم:

﴿فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾[16]

﴿...وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾[17]

فمن من الواجب قطع الصلة بمثل هؤلاء والابتعاد عنهم. فكيف بمراقبتهم ومصاحبتهم!».

يقول الإمام الشافعي رحمه الله تعالى:

«إذا لم تشغل نفسك بالحق شغلتك بالباطل».

---

١٦ النجم: ٢٩.

١٧ الكهف: ٢٨.

فلا شك أن من ابتعد عن صحبة الصالحين، سوف يصاحب الغافلين ويتحلى بأحوال أهل الدنيا. لهذا فإن المؤمن الكيس الفطن يحرص على حفظ نفسه من الغفلة بحضور مجالس الصالحين، ويرتقي على سلم المعنويات بتزكية نفسه.

يشير الإمام الغزالي إلى أن مرافقة غير المسلمين، والفاسقين، والغافلين قد تتحول مع مرور الزمن إلى معية فكرية، وهذه المعية قد تتحول مع الوقت إلى معية قلبية، وهذه الحال تقود الإنسان رويداً رويداً نحو الهلاك.

٢- الصحبة في التربية النبوية

لقد ربى رسول الله ﷺ الصحابة الكرام بالصحبة. وهناك الكثير من الأمثلة في هذا المجال، من ذلك:

لما جاء الشاعر كعب بن زهير صاحب قصيدة البردة إلى المسجد ليعلن إسلامه كان الرسول الأكرم ﷺ جالساً يحدث أصحابه. وكما يقول كعب فإن رسول الله ﷺ كان جالساً في المسجد والصحابة متحلقين من حوله حلقة دون حلقة، فيحدثهم ويلتفت إليهم تارة نحو اليمين وتارة نحو الشمال.[١٨]

١٨ الحاكم، المستدرك، ٣/ ٦٧١.



فالصحبة إذاً أهم منهج تربوي اتبعه رسول الله ﷺ طيلة حياته لتعليم وتربية أصحابه. إلا أن النبي ﷺ كان معتدلاً في منهجه التربوي، إذ كان يختار الأوقات والأحوال المناسبة التي تكون فيها لدى الصحابة رغبة بالاستماع إليه، وذلك حتى لا يصيبهم السأم.[١٩]



يقول أبو واقد الليثي:

بينما النبي ﷺ جالس في المسجد والناس معه إذ أقبل ثلاثة نفر، فأقبل اثنان إلى رسول الله ﷺ وذهب واحد. فوقفا على رسول الله ﷺ. فأما أحدهما: فرأى فرجة في الحلقة فجلس فيها، وأما الآخر: فجلس خلفهم، وأما الثالث: فأدبر ذاهباً. فلما فرغ رسول الله ﷺ قال:

«لا أخبركم عن النفر الثلاثة؟ أما أحدهم فأوى إلى الله فآواه الله، وأما الآخر فاستحيا فاستحيا الله منه، وأما الآخر فأعرض فأعرض الله عنه»[٢٠]

---

١٩ البخاري، العلم، ١١، ١٢، الدعوات، ٦٩؛ مسلم، المنافقين، ٨٢، ٨٣؛ الترمذي، الأدب، ٧٢.

٢٠ البخاري، العلم، ٨/ ٦٦/ ٤٧٤؛ مسلم، ٢١٧٦.



إذاً؛ إن المداومة على مجالس الصحبة تحمل معنى الالتجاء إلى حفظ الله ورعايته وأمنه. وأما الإعراض عن هذا النوع من المجالس وإهمالها فسبب للابتعاد عن الله تعالى.



ذات يوم كان رسول الله ﷺ جالساً مع أصحابه يحدثهم، وكان من بينهم أحد المبشرين بالجنة سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه. فرق قلبه، فبكى وقال: يا ليتني متُّ!. فقال له رسول الله ﷺ: «**يا سعد أعندي تتمنى الموت؟**» فردد ذلك ثلاث مرار، ثم قال:

«**يا سعد إن كنت خلقت للجنة فما طال عمرك أو حسن من عملك فهو خير لك**»[٢١]

إن كل صحبة معنوية تَغترف من فيوض المنبع النبوي تُعد حثاً للمؤمنين على يقظة القلب والاستعداد للحياة الأبدية، وتجنب الذنوب والخطايا، والإكثار من الخيرات والأعمال الصالحة.



٢١ أحمد، مسند، ٥، ٢٦٧/ ٢٢٢٩٣.



يقول أبو هريرة ﵁:

كنا مع النبي ﷺ في دعوة، فرُفع إليه الذراع، وكانت تعجبه فنهس منها نهسة، وقال:

«**أنا سيد القوم يوم القيامة، هل تدرون بمَ؟ يجمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد، فيبصرهم الناظر ويسمعهم الداعي، وتدنو منهم الشمس، فيقول بعض الناس: ألا ترون إلى ما أنتم فيه، إلى ما بلغكم؟ ألا تنظرون إلى من يشفع لكم إلى ربكم؟...**»

ثم تحدث النبي عليه الصلاة والسلام عن الشفاعة العظمى يوم القيامة، أي الشفاعة التي تكون لجميع الناس في أرض المحشر. حيث بين أن الناس سوف يتجهون من أجل الشفاعة إلى الأنبياء فيحيلهم كل نبي إلى غيره حتى يصلوا إلى رسول الله ﷺ فيستجيب لهم ويشفع لهم.[٢٢]

يتبين مما تقدم أن النبي ﷺ قد أورد هذه الحديث الشريف المشهور بشأن الشفاعة الكبرى يوم القيامة وهو

٢٢ البخاري، الأنبياء، ٣، ٩/ ٣٣٤٠، التفسير، ١٧/ ٥؛ مسلم، الإيمان، ٣٢٧، ٣٢٨؛ الترمذي، القيامة، ١٠.

جالس مع أصحابه في إحدى الدعوات. وهذا يدل على أن النبي ﷺ كان يحدث أتباعه وأصحابه الحاضرين في مجالسه كلما وجد فرصة سانحة ومناسبة.



يقول عتبان بن مالك رضي الله عنه وهو من الذين شهدوا بدراً:

كنت أصلي لقومي ببني سالم. وكان يحول بيني وبينهم وادٍ إذا جاءت الأمطار، فيشق علي اجتيازه قبل مسجدهم. فجئت رسول الله ﷺ، فقلت له: يا رسول الله! إني أنكرت بصري، وإن الوادي الذي بيني وبين قومي يسيل إذا جاءت الأمطار، فيشق علي اجتيازه، فوددت أنك تأتي فتصلي من بيتي مكاناً، أتخذه مصلى. فقال رسول الله ﷺ: «**سأفعل**».

فغدا علي رسول الله ﷺ، وأبو بكر رضي الله عنه بعد ما اشتد النهار، فاستأذن النبي ﷺ، فأذنت له فلم يجلس حتى قال:

«**أين تحب أن أصلي من بيتك؟**»

فأشرت له إلى المكان الذي أحب أن أصلي فيه، فقام رسول الله ﷺ فكبر، وصففنا وراءه، فصلى ركعتين، ثم سلم وسلمنا حين سلم، فحبسته على خزيرة صنعناها



له. فسمع أهل الدار رسول الله ﷺ في بيتي، فثاب رجال منهم حتى كثر الرجال في البيت، فقال رجل منهم: ما فعل مالك بن الدخيشن ؟ لا أراه. فقال رجل منهم: ذاك منافق لا يحب الله ورسوله. فقال رسول الله ﷺ:

«لا تقل ذاك ألا تراه قال: لا إله إلا الله، يبتغي بذلك وجه الله!»

فقال الرجل: الله ورسوله أعلم، أما نحن، فو الله لا نرى وده ولا حديثه إلا إلى المنافقين. فقال النبي ﷺ:

«فإن الله قد حرم على النار من قال: لا إله إلا الله، يبتغي بذلك وجه الله».[٢٣]

نجد هنا كيف أن رسول الله ﷺ يهتم بأصحابه، ومدى التضحيات التي يقدمها لهم، وكيف يرغِّب أصحابه في حضور مجالسه. وكذلك فإن النبي عليه الصلاة والسلام قد بين بأسلوب تصرفه في هذه الحادثة وجوب خلو مجالس الحديث والصحبة من العبارات والأحاديث

---

٢٣ البخاري، الصلاة، ٤٥، ٤٦، الأذان، ٤، ٥، ١٥٣، ١٥٤، التهجد، ٢٥، ٣٣، ٣٦؛ مسلم، الإيمان، ٥٤، ٥٥، المساجد، ٢٦٣، ٢٦٤، ٢٦٥، فضائل الصحابة، ١٧٨.



التي تشكل ذنوباً ومعاصي. مثل: الكلام فيما لا يعني المرء، والغيبة، والنميمة، والسخرية والاستهزاء.

لقد بشر رسول الله ﷺ في نهاية حديثه أن الله تعالى حرم نار جهنم على من قال «لا إله إلا الله» يريد به وجهه. لهذا ينبغي للإنسان المؤمن الالتزام بمضمون كلمة التوحيد في كل مكان وزمان، وفي كافة أحواله وتقلباته. والالتزام بكلمة التوحيد وتجسيدها يكون باجتناب كل ما من شأنه إبعاده عن الله تعالى، وبذل الجهد لتجلي الصفات الجمالية في قلبه.

جاء في الحديث النبوي الشريف:

«**من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة**».[٢٤]

ولكن إن كنا نريد أن يكون آخر كلامنا كلمة التوحيد فلا بد أن نسعى لأن يسود مضمونها ويظلل كل نواحي حياتنا. إذ جاء في حديث نبوي آخر:

«كما تعيشون تموتون وكما تموتون تبعثون».[٢٥]



---

٢٤ أبو داوود، الجنائز، ١٥-١٦/ ٣١١٦؛ أحمد، مسند، ٥، ٢٤٧.

٢٥ المناوي، فيض القدير، ٥، ٦٦٣.



ويروي لنا أبو سعيد الخدري ﵁ واحدة من جلسات الصحبة الفياضة بالحكمة عن رسول الله ﷺ فيقول:

صلى بنا رسول الله ﷺ يوما صلاة العصر بنهار ثم قام خطيبا فلم يدع شيئا يكون إلى قيام الساعة إلا أخبرنا به، حفظه من حفظه، ونسيه من نسيه، وكان فيما قال:

«إن الدنيا حلوة خضرة، وإن الله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون، ألا فاتقوا الدنيا واتقوا النساء»

وكان فيما قال:

«ألا لا يمنعن رجلا هيبة الناس أن يقول بحق إذا علمه»

قال: فبكى أبو سعيد وقال: قد والله رأينا أشياء فهبنا، فكان فيما قال:

«ألا إنه ينصب لكل غادر لواء يوم القيامة بقدر غدرته، ولا غدرة أعظم من غدرة إمام عامة يركز لواؤه عند استه»

فكان فيما حفظنا يومئذ:

«ألا إن بني آدم خلقوا على طبقات شتى، فمنهم من يولد مؤمنا ويحيا مؤمنا ويموت مؤمنا، ومنهم من يولد كافرا ويحيا كافرا ويموت كافرا، ومنهم من يولد مؤمنا

ويحيا مؤمنا ويموت كافرا، ومنهم من يولد كافرا ويحيا كافرا ويموت مؤمنا، ألا وإن منهم البطيء الغضب سريع الفيء، ومنهم سريع الغضب سريع الفيء، فتلك بتلك، ألا وإن منهم سريع الغضب بطيء الفيء، ألا وخيرهم بطيء الغضب سريع الفيء، ألا وشرهم سريع الغضب بطيء الفيء، ألا وإن منهم حسن القضاء حسن الطلب، ومنهم سيئ القضاء حسن الطلب، ومنهم حسن القضاء سيئ الطلب، فتلك بتلك، ألا وإن منهم السيئ القضاء السيئ الطلب، ألا وخيرهم الحسن القضاء الحسن الطلب، ألا وشرهم سيئ القضاء سيئ الطلب، ألا وإن الغضب جمرة في قلب ابن آدم، أما رأيتم إلى حمرة عينيه وانتفاخ أوداجه، فمن أحس بشيء من ذلك فليلصق بالأرض»

قال: وجعلنا نلتفت إلى الشمس هل بقي منها شيء؟ فقال رسول الله ﷺ:

«ألا إنه لم يبق من الدنيا فيما مضى منها إلا كما بقي من يومكم هذا فيما مضى منه» [٢٦]



٢٦ الترمذي، الفتن، ٢٦/ ٢١٩١؛ ابن ماجه، الفتن، ١٨؛ الحاكم، ٤، ٥٥١/ ٨٥٤٣؛ البيهقي، الشعب، ٦، ٣٠٩.



كما أن النبي ﷺ لجأ إلى منهج المجالس والصحبة في تعليم الصحابة الكرام، فإنه كذلك اتبع هذا المنهج بالقدر ذاته بل وبدرجة أكبر في تعليم أهل بيته.

فقد كان النبي ﷺ يجالس أهل بيته بشكل فردي أو جماعي في أوقات محددة، ويهيء لهم أجواء روحانية كي يغترفوا من الفيوضات الإلهية. وقد استمر النبي ﷺ في اتباع هذه السنة والحفاظ عليها طيلة سنوات حياته.[٢٧]

وكان النبي ﷺ يخصص جزءاً من وقته لنساء الأمة أيضاً، فيجالسهن ويحدثهن. وهناك روايات عدة تشير إلى هذه المسألة، منها: جاءت امرأة إلى النبي ﷺ فقالت:

يا رسول الله! ذهب الرجال بحديثك، فاجعل لنا من نفسك يوماً نأتيك فيه تعلمنا مما علمك الله. فقال النبي ﷺ:

«اجتمعن في يوم كذا وكذا في مكان كذا وكذا». فاجتمعن، فأتاهن النبي ﷺ، فعلمهن مما علمه الله....[٢٨]



٢٧ انظر: مسلم، الرضاعة، ٤٦؛ أبو داوود، النكاح، ٣٨؛ أحمد، مسند، ٦، ١٠٧، ١٥٧؛ ابن سعد، ٨، ٨٥.

٢٨ البخاري، العلم، ٣٦.



عن جابر بن عبد الله ﵁:

شهدت مع رسول الله ﷺ الصلاة يوم العيد، فبدأ بالصلاة قبل الخطبة، بغير أذان ولا إقامة، ثم قام متوكئاً على بلال، فأمر بتقوى الله، وحث على طاعته، ووعظ الناس وذكرهم، ثم مضى حتى أتى النساء، فوعظهن وذكرهن، فقال:

«**تصدَّقن،...**»

فجعلن يتصدقن من حليهن، يلقين في ثوب بلال من أقرطتهن وخواتمهن.[٢٩]



كانت مجالس صحبة رسول الله ﷺ محاطة بهالة من الوجد والخشوع والوقار. وكان إذا تحدث يتجه إليه الصحابة بكليتهم، فيصمتون وينصتون له وكأن على رؤوسهم الطير. وتظهر عليهم حال من الخشوع والسكينة لا تفي الكلمات لوصفها. وكانوا لشدة الحياء والأدب الذي ينعكس عليهم من رسول الله يحجمون في كثير من الأحيان عن توجيه الأسئلة إليه ويرون في

٢٩ مسلم، العيدين، ٤/ ٨٨٥؛ البخاري، العيدين، ٧.



ذلك تجرؤاً على رسول الله. فكانوا يتريثون وينتظرون على أمل أن يأتي أعرابي من البادية فيحدث رسول الله عليه الصلاة والسلام ويسأله لينالوا من فيوضه وروحانيته.

كان الصحابة يعبرون عن الطمأنينة والسكينة التي ينالونها في مجالس رسول الله عليه الصلاة والسلام بقولهم:

«كأنما على رؤوسنا الطير»[٣٠]

إذا نظرنا إلى ماضي الصحابة نجد أنهم يعودون إلى مجتمع جاهلي تغلب عليه الغلظة، والعصبية، وخشونة الطباع. إلا أنهم عندما تشرفوا بالهداية وصفيت قلوبهم وزكيت نفوسهم في مدرسة التربية النبوية ومجالسه المحاطة بالفيوض والروحانية تحولوا إلى شخصيات مثالية في الدنيا بأسرها. وتجاوزت فضائلهم ومناقبهم الحميدة التي صارت على كل الألسنة وفي كل القلوب العصور والبلدان.

٣٠ انظر: أبو داوود، السنة، ٢٣- ٢٤/ ٤٧٥٣؛ ابن ماجه، الجنائز، ٣٧.



٣- الصحابة الكرام والصحبة

لقد استمر الصحابة الكرام في اتباع سنة الصحبة التي كانت منهجاً لرسول الله ﷺ، وأولوها أهمية كبيرة.

يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

«كنت أنا وجار لي من الأنصار في بني أمية بن زيد وهي من عوالي المدينة. وكنا نتناوب النزول على رسول الله ﷺ، ينزل يوماً وأنزل يوماً، فإذا نزلت جئته بخبر ذلك اليوم من الوحي وغيره، وإذا نزل فعل مثل ذلك،...»[٣١]



وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه، قال:

«كانت علينا رعاية الإبل فجاءت نوبتي فروحتُها بعشي فأدركت رسول الله ﷺ قائماً يحدث الناس. فأدركت من قوله:

«ما من مسلم يتوضأ فيحسن وضوءه، ثم يقوم فيصلي ركعتين، مقبل عليهما بقلبه ووجهه، إلا وجبت له الجنة»

---

٣١ البخاري، المظالم، ٢٥.



فقلت: ما أجود هذه! فإذا قائل بين يدي يقول: التي قبلها أجود! فنظرت فإذا عمر، قال: إني قد رأيتك جئت آنفاً، قال رسول الله ﷺ:

«ما منكم من أحد يتوضأ فيُبلغ - أو فيُسبغ - الوضوء ثم يقول: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبد الله ورسوله إلا فُتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء»[٣٢]



كان عبد الله بن رواحة رضي الله عنه إذا لقي الرجل من أصحابه، يقول:

تعال نؤمن بربنا ساعة. فقال ذات يوم لرجل، فغضب الرجل، فجاء إلى النبي ﷺ، فقال:

يا رسول الله! ألا ترى إلى ابن رواحة يرغب عن إيمانك إلى إيمان ساعة؟ فقال النبي ﷺ:

«يرحم الله ابن رواحة، إنه يحب المجالس التي تتباهى بها الملائكة»[٣٣]

---

٣٢ مسلم، الطهارة، ١٧/ ٢٣٤.

٣٣ أحمد، مسند، ٣، ٢٦٥/ ١٣٧٩٦.



وكذلك اجتماع المسلمين وحديثهم عن أمور الدين ومسائله داخل في دائرة مجالس الذكر هذه أيضاً.



«ذات يوم لقي أبو بكر الصديق ﷺ حنظلة الأُسيدي فسأله عن أموره وأحواله. فقال حنظلة ﷺ وقد بدت عليه آثار الاضطراب والأسى: نافق حنظلة يا أبا بكر! فقال أبو بكر ﷺ: سبحان الله ما تقول؟ قال حنظلة: نكون عند رسول الله ﷺ، يذكرنا بالنار والجنة، حتى كأنَّا رأي عين، فإذا خرجنا من عند رسول الله ﷺ، عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات، فنسينا كثيراً -مما ذكرنا به رسول الله عليه الصلاة والسلام- قال أبو بكر: فوالله إنا لنلقى مثل هذا. فانطلق حنظلة وأبو بكر ﷺ، حتى دخلنا على رسول الله ﷺ، وقال حنظلة: نافق حنظلة يا رسول الله! فقال رسول الله ﷺ: «**وما ذاك؟**»

قال: يا رسول الله! نكون عندك، تذكِّرنا بالنار والجنة، حتى كأنا رأي عين، فإذا خرجنا من عندك، عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات، فنسينا كثيراً.

فقال رسول الله ﷺ:



«والذي نفسي بيده إن لو تدومون على ما تكونون عندي، وفي الذكر، لصافحتكم الملائكة على فرشكم وفي طرقكم، ولكن يا حنظلة ساعة وساعة» ثلاث مرات.[٣٤]



كان الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود ﵁ يذكِّر الناس ويعظهم في كل يوم خميس. فقال له رجل: يا أبا عبد الرحمن لوددت أنك ذكرتنا كل يوم؟ قال:

«أما إنه يمنعني من ذلك أني أكره أن أملكم، وإني أتخولكم بالموعظة، كما كان النبي ﷺ يتخولنا بها، مخافة السآمة علينا»[٣٥]



ذات يوم خطب الصحابي عمار بن ياسر ﵁ فأوجز وأبلغ، وتأثر الناس بكلامه. فلما نزل من منبره قال له الناس: يا أبا اليقظان لقد أبلغت وأوجزت، فلو كنت تنفست– أي أطلت – فقال عمار ﵁: إني سمعت رسول الله ﷺ، يقول:

---

٣٤ مسلم، التوبة، ١٢/ ٢٧٥٠.

٣٥ البخاري، العلم، ١١، ١٢.



«إن طول صلاة الرجل، وقصر خطبته، مئنة من فقهه، فأطيلوا الصلاة، واقصروا الخطبة، وإن من البيان»[٣٦]



وذات مرة سأل معاوية رجلاً من أهل المدينة عن الحسن رضي الله عنه، فقال له:

أخبرني عن الحسن بن علي.

فقال الرجل:

يا أمير المؤمنين، إذا صلى الحسن الغداة جلس في مصلاه حتى تطلع الشمس، ثم يساند ظهره فلا يبقى في مسجد رسول الله ﷺ رجل له شرف إلا أتاه. فيتحدثون حتى إذا ارتفع النهار صلى ركعتين، ثم ينهض فيأتي أمهات المؤمنين فيسلم عليهن، فربما أتحفنه، ثم ينصرف إلى منزله، ثم يروح فيصنع مثل ذلك.

فقال معاوية:

ما نحن معه في شيء.[٣٧]



٣٦ مسلم، الجمعة، ٤٧/ ٨٦٩.

٣٧ ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق، ٧، ٢٣.



كما يتبين مما تقدم فإن الصحبة كانت تشغل مكانة مهمة ومتميزة في حياة الصحابة الكرام. فكما أن النبي عليه الصلاة والسلام قد أعدهم ورباهم في رحاب الصحبة ومجالس الذكر والحديث، فإنهم بدورهم كذلك بذلوا غاية جهدهم لأن يشغلوا أوقاتهم كلما سنحت لهم الفرصة بمجالس الصحبة والذكر التي تشتمل على العلوم، والمعارف والحكم، والمحفوفة بالفيوض والروحانيات.

وهكذا فإنهم قد أدوا واجبهم في خدمة الدين، وضمنوا انتقال نعمة الإسلام إلى الأجيال اللاحقة.

فرضي الله عنهم وأرضاهم جميعاً!.

٤- الصحبة في حياة أولياء الله

إن مجالس الصحبة التي تنعقد في المجتمع الإسلامي ويشارك فيها المسلمون بشعور العبادة ما هي إلا انعكاس من مجالس رسول الله ﷺ، ذلك أنه هو محور الفائدة المعنوية ومركزها. فمجالس الصحبة الفياضة بالروحانيات هي حلقات لسلسلة ممتدة إلى ذاك المركز.

لهذا فإن العبد إذا ما تلقى شيئاً من نور رسول الله عليه الصلاة والسلام بواسطة أحد أولياء الله فكأنه تلقاه من رسول الله ﷺ، لأن هذا النور يشع من المركز ذاته. وذلك تماماً مثل إشعال عدة شمعات أو قناديل بشمعة واحدة...

إذ إن الشعلة التي توقد القناديل ثم تنير تلك القناديل الأجواء بواسطة مشاعلها هي الشعلة ذاتها. فالعبد حتى وإن كان قد أُضيء بآخر هذه القناديل، فإن ذلك الضياء يعكس المصدر الأول لأنه أُوقِد بالشعلة الأولى.

يقول الشيخ البورصوي رحمه الله تعالى:

«فإن فاتت صحبة الرسول ﷺ فقد تيسرت صحبة سنته وصحبة من أحب سنته وذلك ماض إلى يوم القيامة. ولصحبة الكبار واقتران المتقين تأثير عظيم، ولاستماع كلام الحق والرسول نفع تام»[٣٨]

تُعد مجالس الصحبة والذكر التي هي إحدى أهم الوسائل التي يستخدمها أولياء الله للتأثير في نفوس الناس وقلوبهم كقطعٍ من بساتين الجنة في الدنيا التي

٣٨ روح البيان، ٧، ١٠٢.

تتنزل عليها الرحمات والفيوض الإلهية، وتسودها الطمأنينة والسكينة والسلام. فكلمات وأقوال الإنسان الذي زُكيت نفسه وصُفي قلبه محملة بالمشاعر والعواطف المرهفة التي تعتلج في داخله وقلبه. وهذه الكلمات التي تُلقى بهذه العاطفة والإخلاص تشق طريقها بكل سهولة من أذن المستمع إلى قلبه، فتحدث فيه تأثيراً كبيراً يحمله على الخيرات والصالحات وتصبح بذلك وسيلة للسعادة الأبدية.

لهذا إن كان المرء يريد انكشاف مزايا القلب وظهور خصاله الجميلة، فلا بد له من المجاهدة لاغتراف الفيوض والروحانيات من أحوال الصالحين والصادقين، وأفضل سبيل لاغترافها هو حضور مجالس الصحبة.

فقد قال عمر بن عبد العزيز رحمه الله:

«لأن يكون لي مجلس من عبيد الله أحب إلي من الدنيا وما فيها. إن في المحادثة تلقيحاً للعقل، وترويحاً للقلب، وتسريحاً للهم، وتنقيحاً للأدب».



ويقول جعفر بن سليمان رحمه الله:

«كنت إذا وجدت من قلبي قسوة، غدوت إلى مجلس محمد بن واسع فنظرت إلى وجهه، فتزول قسوة قلبي، وأشعر بنشوة العبادة، ويذهب عني الكسل، فأمكث أياماً أحس بلذة العبادة».



ويقول مالك بن دينار رحمه الله:

ما بقي من لذات الدنيا إلا اثنتان:

- التآلف مع الإخوان والصحبة.
- قيام الليل، والذكر في الأسحار، والانشغال بتلاوة القرآن.



يقول أحمد الرفاعي رحمه الله:

«استقرار الذكر إلى القلب يكون ببركة الصحبة».



ذات يوم التقى الشيخ أبو الحسن الشاذلي بأحد تلاميذه وكان قد انقطع مدة عن مجلسه، فقال له:

لـمَ انقطعت عنا، وتركت مجلسنا؟

فقال التلميذ:



يكفيني ما تعلمته من مجالس حتى الآن، ولم تكن لدي حاجة بالمزيد.

فقال له أبو الحسن وقد أحزنه جوابه:

«اسمع يا بني! لو كان لأحد أن يكتفي من مجالس الذكر والصحبة بمدة من الزمن، لكان لأبي بكر الصديق أن يكتفي بما تلقاه من النبي عليه الصلاة والسلام. ومن المعلوم أن أبا بكر لم ينقطع يوماً عن صحبة رسول الله ﷺ ومجالسه، وظل ملازماً للنبي عليه الصلاة والسلام حتى انتقاله إلى الرفيق الأعلى...».

ويعبر الشاعر يونس أمره الذي كان إيمانه ممزوجاً بالمحبة عن أهمية الفيوض والروحانية في الحياة المعنوية للإنسان والتي يتلقاها من مجالس الصحبة بقوله:

هل عاشقٌ من لم يبذل روحه في سبيل العشق؟ ها عاشق من لم يجاهد للوصول إلى الأولياء؟

هل عاشق من لم يخض الرياضات، ويسجد ويتذلل في الخلوات، ويطرق الرأس في المجالس؟





يتحدث مولانا جلال الدين الرومي رحمه الله عن قدرة التصرف والمزايا الفريدة التي وهبها الله ﷻ للأولياء الصالحين من عباده، فيقول:

«إن الأصوات والكلمات المباركة التي تنبع وتفيض من قلوب أهل الله مُحيِيَة وباعثة كصور إسرافيل عليه السلام. وإن المحبين ليسكرون بقلوبهم. فتلك القلوب تجذب إليها الأفكار والأصوات «وكأنها مركز جاذبية». وهي لذة الإلهام والوحي والأسرار. ولو أني بحثُّ بجزء من النغمات المنبعثة من قلوب الأولياء، فإن الأرواح التي فنيت أبدانها في التراب ستُبعث من القبور. أيها الغافل ادنُ إلي؛ فإن نغمات الأولياء ليست ببعيدة عنك «فاجهد لسماعها»...

أصغِ إلى ما يقولونه مهما كان ما يحدثون به، سواء كانت كَلماتهم حارة أم باردة، والتزم بوصاياهم! التزم بها حتى تنجو من مختلف تأثيرات حوادث هذه الدنيا، باردها وحارها؛ أي تتخلص من الألم والسرور! كي تتحرر من عذاب نار جهنم الحارقة! واعلم أن برودة تلك الكلمات المباركة وحرها بمثابة فصل الربيع إذ تهب الحياة لكل شيء. إن تلك الكلمات خميرة العبودية



ولبها وجوهرها. كن متنبهاً؛ فإن بحار القلوب تمتلئ باللآلئ والجواهر بتلك الكلمات».



إن القلب العارف يرمي بنفسه رمياً إلى صحبة الأولياء، لأن الصحبة أقصر طريق إلى مرضاة الله تعالى. فقد كانت هذه سنة النبي عليه الصلاة والسلام التي أوصلت قوم الجاهلية إلى قمة الكمال والنضوج المعنوي؛ أي مجالس الصحبة التي أسست خط تغذية معنوية تسير فيه المعنويات والروحانيات من قلب إلى قلب. إذ إن في الصحبة الحقيقية التي تُراعى خلالها الآداب المطلوبة معينٌ من النور الإلهي والفيض الرباني يجري من قلب إلى آخر.

وانطلاقاً من ذلك فإن والدي المحترم موسى أفندي رحمه الله كانت يتحدث مراراً وتكراراً عن أهمية الصحبة، ويقول:

«طريقنا طريق الصحبة!».

كان موسى أفندي قد جعل الصحبة محور أنشطة الإرشاد. حتى إنه كان إذا التقى ثلاثة من أفراد أسرته



معاً لا يسمح لهم بأحاديث جانبية، ويقول: «وجبت علينا الصحبة» ثم يسرع إلى عقد جلسة صحبة. ومن جلسات الصحبة التي بقيت عالقة في ذهني ولن أنساها أبداً هي تلك الصحبة الثلاثية التي عقدها وقت الفجر في المشفى الذي كان يرقد فيه مع ثلاثة من المرافقين.

كان يقول:

«لقد صعد رسول الله ﷺ بصحابته الكرام إلى مرتبة الكمال من خلال جلسات الصحبة التي كان يعقدها معهم في الصفة في المسجد النبوي. وقد أولى المشايخ الأجلاء من أمثال محمد بهاء الدين نقشبند وغيره أهمية كبيرة للصحبة، وأعدوا أولياء كباراً في هذه المدارس المعنوية.

هناك أسرار كثيرة في مجالس الصحبة، سواء من الناحية الروحانية أو من ناحية العلوم الظاهرية. فكما أن الذي يداوم على هذه المجالس يترقى معنوياً وروحياً دون شعور منه بذلك، فإنه في الوقت ذاته يحصل الكثير من المعلومات التاريخية، والاجتماعية، والفكرية، والجغرافية، والدينية، والدنيوية. لا استخدام للأقلام



ولا للدفاتر في هذه المجالس، ولكن هذه الكلمات العلوية والسامية التي تلقى فيها تترسخ في الأذهان بعون الله تعالى ورعايته.

وإذا كانت الصحبة تُعقد لوجه الله تعالى دون ثمن ودون غاية أو منفعة دنيوية فإن الملائكة تحضرها وتحفها الروحانية من كل جانب. ومن شأن هذه المجالس تمتين مشاعر الألفة، والإخلاص، والمحبة، والتعاضد بين المؤمنين. فالذين لا يحضرون مجالس الصحبة لا تنمو بينهم محبة متبادلة مهما جدوا واجتهدوا والتزموا بأورادهم. فعلى السالكين عدم إهمال حضور مجالس الصحبة إلى جانب المداومة على أورادهم الليلية. ويُقال إن الصحبة متممة للأذكار والأوراد الأخرى؛ أي إنها مكملة للعبادات الأخرى.

فعندما يداوم أي إنسان على مجالس الصحبة المعنوية بإخلاص بشرط القيام بأوراده بانتظام لا يبقى في قلبه لا حب الدنيا ولا حتى حب العقبى، إذ لا يبقى في قلبه إلا حب المولى ﷻ وحده. والمحب للمولى ﷻ يصبح من أهل الصدق والإخلاص والاستقامة، ويقوم بواجباته الدينية والدنيوية على أكمل وجه. ففي مجالس الصحبة



تخرج محبة الدنيا ورواسبها من القلب، وتملأ مكانها محبة الله ورسوله. والذين يحضرون تلك المجالس مهما كانوا متعبين ومهمومين ومتوترين لا يخرجون منها إلا وقد زالت عنهم سائر علامات التعب والهموم والكدر. لأنه قد خرجت من قلوبهم هموم الدنيا وسأمها وإرهاقها، وحل محلها حب الله ورسوله. تسود تلك القلوب الطمأنينة والسكينة والسلام، فالقلب إذا دخلته محبة المولى فهو على خير ما يرام. والحمد لله رب العالمين!».



وخلاصة الكلام أن كل الأولياء الصالحين كانوا يولون أهمية كبيرة لمجالس الصحبة، وكانوا يتطلعون إلى أن ينهل أولادهم أيضاً من هذه الينابيع المعنوية، ذلك لأن المداومة على المجالس المعنوية بإحساس إيماني، وبشعور العبادة تُعد للمؤمن من أهم مدخراته أو استثماراته الأخروية.





آداب الصحبة

إن مجالس الصحبة التي يشارك فيها المسلمون بشعور العبادة ما هي إلا انعكاس من مجالس النبي ﷺ، فهو مركز الاستفادة المعنوية الذي تصل إليه حلقات المجالس. وينبغي للحاضرين في مجلس الصحبة أن يتصوروا وكأنهم جالسون في إحدى حلقات مجلس النبي ﷺ ثم عليهم أن يبذلوا غاية جهدهم للالتزام بالأدب والتعظيم والاحترام، والإحساس بحس التعبد، حتى تستفيد قلوبهم من هذه المجالس.

هناك بعض القواعد والآداب التي ينبغي للمتحدث في المجالس والحاضرين مراعاتها والالتزام بها حتى تسير تلك المجالس بجو من الشعور بالعبادة وتحقيق النتيجة المرجوة منها. إذ مما لا شك فيه أن الأعمال التي تُنفذ بروحانية وحماس مع مراعاة آدابها وأصولها تفضي إلى نتائج طيبة، أما الأعمال التي يقوم بها أصحابها بغفلة وبعيداً عن التقيد بآدابها فلا يُرجى منها أي خير.

والأمر ينطبق على الصحبة أيضاً. فينبغي لكل من ينضم إلى مجالس الصحبة- سواء كان المتحدث أو الحاضرين- الاعتناء بأحوالهم وسلوكهم وتصرفاتهم. على المتحدث أن ينظر إلى الجماعة التي يخاطبها وكأنها مرآة أمامه؛ وعليه أن يدرك أن مظاهر الجمال التي تبدو له في المرآة هي من الحق سبحانه وتعالى ويشكره عليها. وأما بالنسبة للعيوب والنواقص فعليه أولاً أن يراجع نفسه ويخضعها للفحص والمراجعة؛ أي عليه



النظر إلى عيوب جماعته على أنها عيوبه هو، فيبحث عن العيوب في نفسه أولاً. إذ إن الصحبة حال انعكاس، وحال المتحدث يسري إلى جماعته. ووضع المجالس مرتبط مباشرة بالمستوى المعنوي للمتحدث.

وينبغي للحاضرين في مجلس الصحبة أن يتصوروا وكأنهم جالسون في إحدى حلقات مجلس رسول الله ﷺ ثم عليهم أن يبذلوا غاية جهدهم للالتزام بالأدب والتعظيم والاحترام، والإحساس بحس التعبد.

إن الأوصاف التي يجب أن يتصف بها سواء المتحدث أو الحاضرون، والآداب التي ينبغي لهم مراعاتها والالتزام بها مهمة للغاية. وسوف أبين فيما يلي هذه الأمور ضمن بنود محددة:

١ - صفات المتحدثين

أ. الإخلاص

إن ما يجعل الصحبة فاعلة مؤثرة هو "الإخلاص". فالكلمات لا تجد طريقها إلى القلوب إلا إذا كانت صادرة من قلب مخلص. ولا يمكن نقش الكلمات المحملة بالمعاني في القلوب، وإنضاج شخصية

المخاطبين، وعكسها على سلوكهم وتصرفاتهم إلا عبر الإخلاص. فأهم علامة على سير الصحبة وتنفيذها بالمعنى الحقيقي هي ظهور ورؤية مثل هذا التأثير على المشتركين فيها.

لذا فإن أكثر المصاحبات فائدة هي تلك الصحبة التي يسود فيها الوعظ والإرشاد بكلمات مخلصة صادقة نابعة من صميم القلب تسحر الألباب. فالمواعظ التي تكون بمجرد كلمات جافة صادرة عن اللسان وإن اخترقت جدار الأذن، فإنها لا تجد طريقها إلى أعماق القلب. وأما إن كانت العبارات والكلمات نابعة من القلب فإنها تبث في القلوب الروحانية والطمأنينة؛ لهذا ينبغي أن يكون اللسان ترجمان القلب.

لا ريب أن أجمل وأفضل مثال يبين كيفية تأثير الكلمات النابعة من القلب هم الصحابة الكرام. فعوالم قلوبهم التي كانت أشبه بصحراء قاحلة جرداء وجافة في الفترة الجاهلية قد تحولت بفضل تأثير مجالس صحبة رسول الله ﷺ إلى منبع للرحمة والشفقة والبركة، فقد بلغوا القمة في مختلف الفضائل. لقد تحولوا إلى نجوم لامعة من خلال تبادل المحبة والروحانية المنعكسة



من صدر إلى صدر ومن قلب إلى قلب. تحول القوم الذي كانوا يتصفون في الجاهلية بالجفاء وقسوة القلب وحدَّة الطباع إلى أشخاص يتميزون برهافة الحس، ولين الجانب، ورقة القلب، فما إن يسمعوا ذِكراً أو وعظاً حتى تفيض قلوبهم وأعينهم بالدمع.

ولا بد لحدوث تأثير الصحبة والاغتراف من معين هذه البركة المعنوية الفريدة أن يكون المتحدث في المجلس مخلصاً النية لله تعالى، بحيث لا يقصد إلا وجهه ورضاه. وكذلك لا بد أن يحافظ على إيمانه في كل الأحوال وبغض النظر عن الفئة التي يجالسها ويحدثها، ويبعد قلبه عن سائر المكاسب والأهداف الدنيوية من جاه أو منصب أو مال.

ب. الشعور بالمسؤولية

إن أفضل وأصح استثمار من أجل المستقبل هو إعداد أشخاص قدوة. فالمجتمعات التي لا تأخذ هذا الهدف في الحسبان ولا تعمل لأجله ينتهي بها المطاف إلى السقوط في المهالك والانهيار. لهذا فإن أهم الواجبات التي تقع على عاتقنا العملُ على إصلاح مسارنا من جهة،

ومن جهة أخرى مساعدة إخواننا في الدين الذين نُعد مسؤولين عنهم للمحافظة على استقامتهم وضمان عدم انحرافهم عن جادة الصواب.

إن المؤمن لا يرتاح ضميره ولا يسكن ويطمئن وجدانه بمجرد إصلاح حاله المعنوية، لأنه يعلم أن عليه واجب أداء الشكر ونوع من الزكاة عن علمه، وعرفانه، وأحواله وأفعاله الحسنة التي يُوفَّق إليها بوضعها في خدمة إخوانه، وذلك انطلاقاً من شعوره بأن خلاصه يمر عبر العمل على خلاص الآخرين.

وأهم ما يحتاج إليه مجتمعنا اليوم هو الإنسان المثالي النموذجي. علينا أولاً الارتقاء بحالنا ووضعنا المعنوي لإعداد جيل يتمتع بمزايا وخصائص سامية ورفيعة. فلا بد أن يكون كل تصرف وسلوك نقدم عليه بمرتبة الأكمل، والأجمل، والأحسن، لأن الإنسان يميل بطبعه إلى الإعجاب بالشخصية الصادقة النموذجية ويعمل على تقليدها.

والاشتغال بتربية الإنسان ليس مهنة عادية كسائر المهن الأخرى، وإنما هي مهنة نبوية. فقد أرسل الله



تعالى الأنبياء كأعظم مربين للإنسان. فعلى الذي يتصدر مجلس الصحبة أن يدرك أنه ينهض بأعباء وظيفة رفيعة ومشرفة تتصل حلقات سلسلتها بمهنة الأنبياء.

إن كنا نريد في عالم الامتحان والابتلاء هذا الذي نعيش فيه النجاةَ من المراتب السفلية الذي يكون نتيجة تزكية النفس وتصفية القلب ثم بلوغ الكمال والوصول إلى المراتب العلوية السامية، فعلينا الخضوع للتربية المعنوية. والإنسان الذي يتصدى للقيام بمهمة الصحبة هو اختصاصي القلب الذي يشتغل بهذه التربية المعنوية، وهو طبيب الروح الذي يذكِّر الأرواح بالحياة الأبدية.

وانطلاقاً من ذلك ينبغي للمتصدي للصحبة الدخول إلى مجلس الصحبة بأدب وخشوع تام كما لو أنه يدخل مسجداً. وعليه قبل كل شيءٍ أن ينظر إلى الوظيفة الملقاة على عاتقه على أنها أعظم نعمة وإحسان بين يديه، ثم يشعر بالمسؤولية عن إمداد إخوته مادياً ومعنوياً كنوع من أداء شكر هذه النعمة. عليه أن يعتبر أن كل لحظة يمضيها مع إخوانه وكأنها الأنفاس الأخيرة ويعمل على حسن استغلالها واستثمارها على أكمل وجه، ويلهج لسان حاله ومقاله بالحمد والشكر.



على المتحدث في مجلس الصحبة أن ينظر إلى الجماعة التي يخاطبها على أنها أمانة إلهية بين يديه، وأن يصغي السمع إلى صرخات قلوبهم الصامتة المحتاجة إلى التربية والتزكية، وأن يدرك أن هناك واجباً رفيعًا ومهمًا مترتباً على عاتقه تجاههم، ثم يأخذ الأمر على محمل الجد ويبذل غاية جهده للقيام بأعبائه.

وأهم المهام الملقاة على عاتقه في هذا الميدان هي:

١- إزالة الأخطاء الشرعية.

٢- العمل على ترسيخ العقيدة الصحيحة والأخلاق الحميدة في القلوب.

٣- إعداد أرضية قلبية تؤمّن إحياء الأسحار بروحانية.

٤- بذل الجهد لبث الشعور بالعبادة خلال المجالس الصحبة.

يُعد القائمون بمهمة الحديث في مجالس الصحبة عاملين في ميدان القلوب، وبناة المستقبل. لهذا عليهم التمتع بالفراسة تجاه الإنسان. عليهم أن يعرفوا جيداً قدرات المخاطبين وميولهم، ويولوا أهمية أكبر لمن لديه ميل واستعداد للمعنويات. وعلى المصاحب أن



يتذكر دائماً أن الحاضر لمجلسه أمانة بين يديه، فإن أي تقصير في تربيته وتعليمه سوف ينتهي بعاقبة وخيمة في الآخرة.

كذلك ينبغي أن لا يغيب عن بال المتصدر لجلسة الصحبة التي هي أداة سريان الحال أن التقليد يطال السلوك والتصرفات الخاطئة إلى جانب تلك الصحيحة، وعليه أن يكون بغاية الحذر والانتباه إلى أحواله وتصرفاته.

وإلى جانب ذلك ينبغي استثمار كل فرصة تتاح من أجل الصحبة. وكل حال من أحوال أولياء الله يتضمن أجمل الأمثلة على ذلك.

نُقل أن شقيقاً البلخي رحمه الله أراد السفر إلى الحج. فلما خرج ووصل إلى بغداد دعاه الخليفة هارون الرشيد إلى مجلسه. فلما حضر قال له:

أوصني وعظني يا شيخ.

فقال شقيق البلخي:

اعلم أن الله تعالى أجلسك في مقام أبي بكر الصديق رضي الله عنه ويسألك الصدق كما يسأله عنه، وفي مقام عمر

الفاروق ﷺ ويسألك الفرقَ بين الحق والباطل كما يسأله، وفي مقام ذي النورين ﷺ، ويسألك الحياء والكرم كما يسأله، وفي مقام علي المرتضى ﷺ ويسألك العلم والعدل، كما يسأله.

فقال الخليفة: زدني!

فقال شقيق البلخي:

إن لله داراً تُسمى جهنم. وقد جعلك بوَّاباً لهذه الدار، وأعطاك ثلاثة أشياء: المال، والسيف، والسوط، وأمرك بأن تمنع الناس بهذه الأشياء عن جهنم. لا تمنع المحتاج عن المال! وأدِّب سيء الأدب بالمقرعة! واقتص للمقتول من القاتل بالسيف بإذن ولي المقتول. فإن عملت كذلك أنجيتَ ونجوتَ، وإلا فإنك تُقدَّم إلى جهنم، ويتبعك الناس.

فقال الخليفة: زدني يا شيخ:

فقال البلخي:

أنت كعينٍ من الماء والعمال كالسواقي الجارية منها. فإن كانت العين صافية لا تضر كدرة السواقي، وإن كانت العين كدرة لا ينفع صفاء السواقي.



فقال الخليفة: زدني!

فقال شقيق البلخي:

إن كنت في بادية وأشرفتَ على الهلاك من العطش، بكم تشتري جرعة من الماء؟

فأجاب الخليفة: بما يبيعون ويشترون ويطلبون أشتري.

فقال شقيق: فإن باعوا بنصف ملكك، تشتري؟

قال الخليفة: نعم أفعل!

فقال شقيق البلخي:

فإذا شربت ولم يخرج من جوفك، وقال أحدهم:

أريد النصف الآخر من ملكك لأداويك حتى يخرج منك الماء المشروب، فما تفعل؟

فقال الخليفة: أعطيه!

فقال الشيخ البلخي:

ولم تَغْتر بملك تكون قيمته جرعةً من ماء تشربه، ثم يخرج منك؟!.

إذاً؛ عندما يوجِّه الإنسان المؤمن كلمة لأخيه في الدين أو يقدِّم له نصحاً، فعليه أن يعطي الأولوية للنصائح

والمواعظ التي تحفظ وتحمي حياة أخيه الأخروية. إذ إن أعظم عمل خير أو إحسان يقدمه الإنسان لأخيه في الدين هو مساعدته في بلوغ الخلاص الأبدي. أي على المتصدر للصحبة أن يستحضر الفناء في ذهنه ويجعل أولويته الدائمة تأمين السلامة الأخروية للحاضرين في مجلسه .

وأهم المسؤوليات الملقاة على عاتق الذين يقومون بوظيفة الوعظ والإرشاد في مجالس الصحبة هي محافظتهم على المعية القلبية مع إخوانهم الآخرين الذين ينهضون بهذا الواجب، أي يصبحوا كالقلب الواحد. لهذا لا بد من التعاون مع الإخوة، وقراءة كتب مشتركة، وتبادل المشاعر والأحاسيس، وينبغي عدم الخوض في المواضيع المختلفة حسب الآراء والأفكار الشخصية.

إن الأصل في التربية الصوفية هو حضور مجالس المرشد الكامل. لكن عند عدم توفر ذلك يتولى القيام بهذه الوظيفة السامية مَن هم أهل لها بالوكالة عن المرشد. وهنا ينبغي للقائم بالمهمة أن لا ينسى أبداً أنه إنما ينهض بأعباء هذه الوظيفة وكالةً لا أصالة. وعليه أن لا يهمل أبداً مسؤوليته المعنوية، ويبذل غاية جهده للإيفاء بها بالصورة المطلوبة.



وانطلاقاً من ذلك فإن الصحبة الحقيقية تعني نقل القلب الأساسي، أي المرشد الكامل إلى تلك الصحبة. يجب بذل الجهد لنقل أفكاره، ونمط تفكيره، وأحواله وأفعاله، وحتى تعابير وجهه، وابتساماته، وكل أخلاقه الحميدة، وتواضعه، وكرمه وأحاسيسه إلى الصحبة. فإذا لم تتحقق هذه الحال فهذا يعني أن هناك قصوراً أو عيباً في الخدمة. إذ إن السالك في هذا الطريق يُعد ويُربَّى عبر الانعكاس والانصباغ «أي التخلق بأخلاق المرشد الكامل، والانصباغ والتحلي بأحواله ومزايا شخصيته الجميلة»؛ وكذلك رُبِّي أهل التصوف.

وإضافة لما تقدم ينبغي للقائم بمهمة الصحبة أن لا ينسى مسؤوليته في إعداد مرشدين ووعاظ متميزين وعلى درجة عالية من الحس بالمسؤولية والاستقامة للنهوض بواجب الصحبة من بعده بالصورة المثلى.

ج. العشق، والوجد، والمحبة

إن الفتح الحقيقي هو فتح القلوب، ولا يقدر على هذا إلا من يستطيع جعل القلوب مأوى ومستقراً للعشق، والوجد، والمحبة. فالمتحدث العابس والجامد والخامل



الذي يعجز عن استدامة حماسه، وشوقه، وعشقه في مجالس الصحبة يفقد تأثيره في مستمعيه. لذا ينبغي أن يكون الواعظ في مجلس الصحبة بحال حيوية يبث حوله الطاقة والنشاط، والروحانية، والمحبة. ويجب أن يسود على مجالس الصحبة جو من المحبة والمودة. ولا ننسى أننا لا ننال المحبة إلا بقدر ما نُكِن من محبة تجاه إخواننا.

يقول الشيخ البورصوي:

قيل: «لو تحابّ الناس وتعاطوا المحبة لاستغنوا بها عن العدالة، فالعدالة خليفة المحبة تستعمل حيث لا توجد المحبة».

وقيل: «طاعة المحبة أفضل من طاعة الرهبة، فإن طاعة المحبة من الداخل وطاعة الرهبة من الخارج، ولهذا كانت صحبة الصوفية مؤثرة من البعض في البعض لأنهم لما تحابوا في الله تواصوا بمحاسن الأخلاق ووقع القبول لوجود المحبة فانتفع لذلك المريد بالشيخ والأخ بالأخ ولهذا المعنى أمر الله تعالى باجتماع الناس في كل يوم خمس مرات في المساجد ...».[٣٩]

٣٩ روح البيان، ٧، ١٦٨.



إذاً؛ إن من واجب الصوفي الذي ينهض بوظيفة الصحبة والتحدث بث المحبة والروحانية في إخوانه بالدين وكأنه المسؤول المباشر عنهم، ودَين مترتب في ذمته؛ أي من واجبه إعطاءهم الطاقة الإيجابية بصورة دائمة. لهذا من الضروري أن يكون من «أهل المحبة».

إن مصدر المحبة هو الله تعالى الودود. وأما الواسطة التي تقود إلى المنبع الذي لا ينضب ولا يُرتوى منه فهي طاعة رسول الله ﷺ، طاعة صادرة عن المحبة. وأبرز علامة على ذلك هي محبة المؤمن لأخيه المؤمن، لأن الله تعالى يقول في كتابه العزيز:

﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ...﴾[40]

وكذلك فإن هذه المحبة تُنمي في قلب المؤمن محبة كل المخلوقات في الله تعالى. ذلك أن كافة المخلوقات تحمل بمقتضى خلقها علامةً على قدرة الخالق سبحانه وتعالى وعظمته.

---

٤٠ الفتح: ٢٩.



وخلاصة الكلام أن مجالس الصحبة ليست مجرد معية جافة بين أربعة جدران، وإنما ينبغي أن تكون معية حيوية، ونشطة، وملهمة للقلوب، ومليئة بالمحبة والمودة. فحصول النتيجة الإيجابية المرجوة من المعية والصحبة في المجلس الذي يحضره الصالحون، وتسود فيه أحوالهم الطيبة الجميلة متوقف على ترابط قلوبهم بروابط المحبة وتأمين تدفق الفيض من قلب إلى آخر.

د. الصبر

التصوف هو فن إعداد الإنسان الكامل، لذا فإن أكثر ما يحتاج إليه هذا الطريق هو الصبر والثبات. فحيثما يبدأ التذمر، والتشكي، ينتهي التصوف.

ينبغي أن يتمتع أهل التصوف بنفَس طويل وروح متصفة بالرقة واللطف. وعليهم أن يجعلوا أولويتهم رضا الله تعالى، فلا يجرحوا أحداً، ولا ينفروا من أحد أو يُعرضوا عنه. وعليهم الاتصاف بالعفو والمسامحة وسعة القلب. عليهم أن يصبحوا مثل مولانا الرومي بحيث يجمعون الناس من مختلف الأصناف في قلوبهم وينادوهم: «هيا تعال إلي، تعال أياً ما كنت تكون!».



وينبغي لمن دخل إلى قلبه الواسع أن لا يخرج حتى يُنقَّى ويتطهر ويصل إلى الطمأنينة والسكينة، ويتنفس الصعداء.

لم يكن للأنبياء والرسل ميراث مادي. وإنما كان أجمل ميراث تركوه لنا من بعدهم هو ميراث شمائلهم وشخصيتهم المثالية، ميراث «أحسن تقويم». وإن أجمل ميراث نتركه للذين سوف يأتون من بعدنا هو الشمائل الجميلة، والشخصية النموذجية. لهذا فإن الإرشاد يتمتع بأهمية بالغة، فالإرشاد ينبغي أن يكون دائماً منبع الحكمة الذي يفيض بالروحانية، وهذا لا يتحقق إلا بالعزيمة القوية والصبر والثبات.

عندما لا يجد الإنسان أحياناً من يسعى إلى إرشاده، فإنه يتذرع بمعاذير نفسانية. وخير إجابة على هذا الصنف من المعاذير النفسانية هي حينما نرى إنبات الله تعالى شجرة تين في جدار حجري. فكم هي الأعمال التي تبدو في ظاهرها مستحيلة التنفيذ ثم ما تلبث أن تغدو ممكنة بالبركة التي يطرحها الله في الجهود الصادقة والمخلصة والتي يبذلها أصحابها بصبر وثبات. يقول الله تعالى في كتابه الكريم:



﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا. إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾[41]

فليس في هذا الطريق سأم ولا ملل ولا انسحاب وتراجع، وكذلك ليس فيه غضب على أحد ولا إبعاد. فالغضب يكون من الخطأ والعيوب والتقصير، وأما مرتكبوه فيجب معاملتهم بالرحمة واللين ومساعدتهم على إصلاحه بالصبر عليهم. وهذا يوجب علينا دائماً البحث عن شريان للنفوذ عبره إلى قلوب إخواننا.

كان النبي عليه الصلاة والسلام دائماً ما يجد منفذاً للدخول منه إلى القلوب. كان يعامل الجميع معاملة حسنة، ويخاطبهم ويحاورهم ويرشدهم دون كلل أو ملل أو تذمر، ويخاطب كلاً حسب حاله ومستواه سواء كان عبداً، أو صغيراً، أو أعرابياً، أو مذنباً وعاصياً، وذلك حتى يجد منفذاً إلى قلوبهم فينقش فيها ذكريات لا ينسوها مدى الحياة.

وقد كان النبي عليه الصلاة والسلام مدى حياته يصبر على فظاظة الأعراب وخشونة طباعهم ويقابلها بمعاملة حسنة لطيفة، ويحسن استقبالهم ويلبي مطالبهم.

---

٤١ الانشراح/ الشرح: ٥-٦.



حتى إنه كان لدواعي المصلحة العامة يصبر على أفعال المنافقين الخاطئة التي يبتغون من ورائها إحداث الفتنة، ويصحح أفعالهم وتصرفاتهم الخرقاء بحسن معاملتهم. وبذلك فإنه كان يزيل الكثير من آثار أعمالهم المضرة والمؤذية.

هـ. حسن الخطاب

ينبغي أن يكون كلام الواعظ في مجالس الصحبة ليناً وجاذباً للقلوب. إذ ليس في الناس من أحد يحب قسوة العبارات، والخشونة في الخطاب. فأفضل طريق لدخول القلوب هو اللسان الطيب، واللِّين، والتواضع.

يقول الله الحق سبحانه وتعالى في كتابه العزيز:

﴿...وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ [٤٢]

على المؤمن اجتناب العبارات البذيئة، والخشونة في الكلام. وعليه أن ينظر إلى خلق الله تعالى لصوت الحمير بهذا النمط على أنه إرشاد للإنسان. إذ ينبغي

٤٢ لقمان: ١٩.



لكل مؤمن ذي عقل راجح وفطنة أن يدرك أن كل شيءٍ في الكون إنما هو تعليم من الله تعالى. وبعض هذه الكائنات عبارة عن تعاليم صامتة ورمزية. لذا فإن على المؤمن الاعتبار بكل هذه الكائنات، وحفظ الكرامة الإنسانية، واجتناب الخطاب القاسي والخشن الذي يصم الآذان.

يقول رسول الله ﷺ:

«**من سعى في الأمر بالمعروف فليأمر بالمعروف**» [٤٣] أو كما قال رسول الله.

على المتحدث أن يتكلم بصورة واضحة، وفصيحة، وبأسلوب بليغ، ويبذل جهده قدر المستطاع لتحميل خطابه بنفحات المحبة والحكمة لتنفذ إلى القلوب. ومن المستحسن في العبارات التي يصعب فهمها، أو المواضع المهمة تكرارها ثلاث مرات اتباعاً للسنة النبوية.[٤٤]

وكذلك على المتحدث إلقاء المواعظ والنصائح بهدوء ولطف، وأن لا ينسى أنّ تصرفه مع المستمعين

---

٤٣ القضاعي، شهاب الأخبار، رقم: ٣٢٥.

٤٤ انظر: البخاري، العلم، ٣٠.



إليه بشكل فظ وغليظ، وبأسلوب غاضب إشارة إلى ضعف كبير في شخصيته.

فعندما أرسل الله ﷿ موسى وهارون عليهما السلام إلى فرعون الذي بلغ مبلغاً عظيماً في كفره وطغيانه واستعلائه، قال لهما:

﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ [٤٥]

كما يتبين من الآية المذكورة فإن الله تعالى يريد أن تُلقى الحقائق الإلهية وتُبين بهدوء وبأسلوب لين ولطيف حتى عند مخاطبة أكثر عباده ظلماً وطغياناً وكفراً. وهذا المثال كافٍ للدلالة على الأسلوب الذي ينبغي أن يخاطب به المؤمن أخاه المؤمن.

وكذلك عندما يأمرنا الله ﷿ ببيان أحكام ديننا الحنيف للناس يوضح لنا الأسلوب المطلوب اتباعه كأنه يأمرنا بإيجاد شريان ننفذ منه إلى قلوبهم، وذلك بقوله:

﴿...وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا﴾ [٤٦]

---

٤٥ طه: ٤٤.

٤٦ النساء: ٦٣.

ويقول الحق سبحانه وتعالى في آية أخرى متحدثاً عن الصحابة الذي خالفوا أمر النبي عليه الصلاة والسلام في معركة أحد وتسببوا باستشهاد الكثير من المسلمين:

﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ لِنْتَ لَهمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمتَوَكِّلِينَ﴾ [٤٧]

وحسب ما جاء في الآيات القرآنية أيضاً فإن إبراهيم عليه السلام كان يعظ أباه بأسلوب لطيف ولين، إذ قال له:

﴿...يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا. يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِك فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا. يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا. يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا﴾ [٤٨]

---

٤٧ آل عمران: ١٥٩.

٤٨ مريم: ٤٢- ٤٥.



فرد عليه أبوه آزر غاضباً:

﴿قَال أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آَلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا﴾ [49]

فأجابه إبراهيم عليه السلام:

﴿قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا﴾ [50]

وكذلك فإن المثال الذي نورده فيما يأتي من عصر النبي يُعد أجمل تعبير عن النتيجة الإيجابية والثمار الطيبة التي تخلفها مخاطبة الناس بلسان لين، وأسلوب حسن:

بعث رسول الله ﷺ الصحابي الجليل مصعب بن عمير رضي الله عنه إلى المدينة وأمره أن يُقرِئهم القرآن، ويعلمهم الإسلام، ويفقههم في الدين. فلما ذهب مصعب إلى المدينة نجح بفتح قلوب جميع الناس هناك تقريباً، وأعد الأرضية اللازمة لتشريف رسول الله ﷺ. وكان من أهم

---

٤٩ مريم: ٤٦.

٥٠ مريم: ٤٧.

صفاته التي ساهمت في توفيقه بمهمته هي طيب لسانه، ولين جانبه وطباعه.

ويقول ذو النون المصري رحمه الله والذي يُعد من كبار الأولياء الصالحين:

«من علامات الإيمان وعظ الناس وإرشادهم بكلام لين، ووجه متبسم حتى وإن جهلوا عليه وأعرضوا عن نصحه وإرشاده».

و. الكرم والجود

إن الله يحب الكريم ويُحبب الناس به. وكان النبي عليه الصلاة والسلام من أكرم الناس وأكثرهم جوداً. كان تفكيره منصباً على أصحابه وأمته، فيقدمهم ويؤثرهم على نفسه. ولما جاءته ابنته فاطمة رضي الله عنها وطلبت منه خادمة يعينها في شؤون بيتها أوصاها ببعض أنواع الذكر والعبادات، وبيَّن لها أن ما بين يديه إنما هو حق لليتامى وأصحاب الصُّفَّة. وكان إذا طلب أحد منه حاجة أعطاه في الحال إن وُجد لديه، وأما إن لم يكن معه شيءٍ يلبي به حاجته يستقرض له، أو يعده بتلبيته في أقرب وقت. وكان إذا توفر بين يديه مال لا يهدأ له بال حتى



يوزعه على المحتاجين. لم يكن كرمه عليه الصلاة والسلام بالكرم الذي تكفي الكلمات لوصفه.

فعلى من يتولى دور القيادة في مجتمع من المجتمعات وعلى الوعاظ والمرشدين الذين يُعدون ورثة النبي عليه الصلاة من حيث تطبيق سنة الصحبة أن يتصفوا بصفته هذه. فعن جابر ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ:

«من سيدكم يا بني سلمة؟»

قلنا: الجد بن قيس، على أنَّا نُبخِّله.

قال رسول ﷺ:

«وأي داء أدوى من البخل، بل سيدكم: عمرو بن الجموح» [٥١]

إذ كان عمرو بن الجموح رجلاً كريماً.

الإنسان مغلوب أمام الإحسان. أي إنه مطبوع على الخضوع بالطاعة الطوعية لمن يكرمه ويحسن إليه. ومما لا ريب فيه أن إعداد مثل هذه الأرضية القلبية قبل مخاطبة الناس سوف يجعل المواعظ والإرشادات الملقاة على أسماعهم أكثر تأثيراً.

٥١ البخاري، الأدب المفرد، ٢٩٦؛ الحاكم، المستدرك، جـ٣، ٢٤٢/ ٤٩٦٥.



ومن جهة أخرى فإن الكرم ليس بمقتصر على الأمور المادية فحسب. والتصرف بكرم في الأمور المعنوية يوجب إلى جانب الكرم المادي تقديم مختلف التضحيات للارتقاء معنوياً بإخواننا، واستثمار كافة الفرص المتاحة لتحقيق ذلك. ويُعد تخصيص الإنسان جزءاً من وقته للناس، والانشغال بشؤونهم ومشاكلهم، وتفريج كربهم، وإدخال السرور إلى قلوبهم كرماً عظيماً أيضاً.

ز. التواضع

ينبغي أن يحل في الواعظ التواضع والمحبة محل الأنانية والانتصار للذات والتباهي. إذ إن التواضع صفة من الصفات التي تجعل للكلام تأثيراً في الإنسان.

ومما لا ينبغي أن ننساه أبداً هو أن كل إنسان متصف بالعجز بطبيعته البشرية. فالذي يتولى دور قيادة المجتمع عاجز، وكذلك أفراد ذلك المجتمع... وتمر ظروف يقف فيها حتى النبي عاجزاً. أي إن كل إنسان محاط حتماً بالعجز المطلق؛ فالقادر المطلق هو الله وحده. لذا من الضروري أن يتصف جميع أطياف المجتمع بالتواضع وخفض الجانب بعامتهم وخاصتهم



ورؤسائهم ومرؤوسيهم. وأما إذا غاب هذا الأمر عن المجتمع، فتفوح منه رائحة الأنانية المذمومة وتصاب روحانية الصحبة بالضعف والاضمحلال حتى لا يبقى منها أثر.

وعلى ذلك فإن الله تعالى أول ما يريد من العبد القضاء على أنانيته. وقد جاء في الأخبار أن من به عجب، والبخيل، والأحمق، والذي يقدم الدنيا على الآخرة لن ينالوا القرب من مرضاة الله تعالى.

فعلى الواعظ والمتحدث في مجالس الصحبة إن حدث خلل أن يفتش أولاً عن عيوب نفسه قبل أن يتهم غيره. ونورد فيما يلي قصة توضح بشكل جميل هذا المقام القلبي:

خرج عبد الله بن المبارك في سفر مع رجل سيء الطباع. ولما وصلا إلى مقصدهما وافترقا بدأ ابن المبارك بالبكاء. فتعجب منه أصحابه، وسألوه عن سبب بكائه. فقال لهم وقد امتلأت عيناه بالدمع:

لقد صحبت الرجل وقتاً طويلاً. إلا أني لم أفلح في إصلاح حال ذاك المسكين، ولا تحسين أخلاقه.

وأتساءل: هل لتقصير في نفسي لم أستطع أن أنفعه؟ يا ويلي غداً إن كان عدم اهتدائه لعيب وتقصير مني! ثم أجهش بالبكاء.

ويجب أن لا ننسى أن طريق المعنويات إنما هو طريق الخدمة. فينبغي أن يكون قلب الواعظ عند عتبة الباب، وليس فوق الكرسي الذي يجلس عليه. إذ يأتي وقت يوجب على المرء تناول الطعام المطهو بالسم دون حتى تكشير وجهه.

إن التواضع يسهل من تآلف الإنسان مع الآخرين. إذ يمكن لكل شخص الاقتراب منه بارتياح تام. وينبغي أن لا نستغرب أن كل الخصال الجميلة تجتمع في الإنسان المتواضع، فالمياه في الأماكن العالية دائماً ما تتدفق نحو الأسفل.

قال الحق سبحانه وتعالى في كتابه الكريم:

﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ [٥٢]

---

٥٢ الفرقان: ٦٣.



وقال رسول الله ﷺ في الحديث الشريف:

«من يتواضع لله درجة، يرفعه الله به درجة، ومن يتكبر على الله درجة، يضعه الله به درجة، حتى يجعله في أسفل السافلين»[٥٣]

كان لعم النبي ﷺ العباس رضي الله عنه بستان من العنب في الطائف. وكان قبل الإسلام وبعد أن جاء الإسلام يصنع منه زبيباً ثم يخلطه بماء زمزم ويسقي منه الحجيج في موسم الحج. وفعل ذلك أبناؤه وأحفاده من بعده.[٥٤]

وذات مرة جاء رسول الله ﷺ إلى السقاية فاستسقى، فقال العباس لابنه:

يا فضل، اذهب إلى أمك فأتِ رسول الله ﷺ بشراب من عندها.

فقال رسول الله ﷺ: اسقني!

قال العباس: يا رسول الله! إنهم يجعلون أيديهم فيه.

قال رسول الله ﷺ: اسقني!

---

٥٣ ابن ماجه، الزهد، ١٦/ ٤١٧٦.

٥٤ ابن هشام، ٤، ٣٢؛ ابن سعد، ٢، ١٣٧؛ الواقدي، ٢، ٨٣٨.



فقدم له العباس رضي الله عنه الشراب فشرب منه. ثم أتى زمزم وهم يسقون ويعملون فيها. فقال لهم مثنياً على عملهم:

«**اعملوا – يا أبناء عبد المطلب – فإنكم على عمل صالح!**» ثم قال:

«**لولا أن تُغْلَبوا لنزلتُ، حتى أضع الحبل على هذه**»، يعني: عاتقه، وأشار إلى عاتقه.[55]

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال:

«كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعود المريض، ويشهد الجنازة، ويركب الحمار، ويجيب دعوة العبد. وكان يوم بني قريظة على حمار مخطوم بحبلٍ من ليف، عليه إكاف ليف»[56]

«كان النبي صلى الله عليه وسلم يُردف خلفه، ويضع طعامه في الأرض، ويجيب دعوة المملوك، ويركب الحمار»[57]

---

٥٥ البخاري، الحج، ٧٥/ ١٦٣٥.

٥٦ الترمذي، الجنائز، ٣٢/ ١٠١٧؛ ابن ماجه، الزهد، ١٦؛ الحاكم، ٢، ٥٠٦/ ٣٧٣٤.

٥٧ الحاكم، ٤، ١٣٢/ ٧٠٢٨.



وعن أبي موسى ﵁ قال:

«كان رسول الله ﷺ يركب الحمار، ويلبس الصوف، ويعتقل الشاة، ويأتي مراعاة الضيف»[58]

وعن عامر بن ربيعة ﵁:

«أن النبي ﷺ كان يطوف بالبيت، فانقطع شسع نعله، فأخرج رجل شسعاً من نعله، فذهب يشده في نعل النبي ﷺ. فانتزعها النبي ﷺ، وقال: **هذه أثرة، ولا أحب الأثرة**»[59]

ونجد هنا نموذجاً رائعاً وفريداً من التواضع وهو حسب ما جاء في روايات أخرى أن الذي نزع شسع نعله وشدها في نعل رسول الله ﷺ هو راوي الحديث المتقدم ذاته. إلا أنه لشدة تواضعه وإيثاره استعمل عبارة تشير إلى رجل مجهول. ويمكن العثور في الروايات على الكثير من هذه النماذج والأمثلة عن مواقف الصحابة الكرام.

ورُؤي الحسن بن علي ﵄ يطوف بالبيت، ثم صار إلى المقام فصلى ركعتين، ثم وضع خده على المقام

٥٨ الحاكم، ١، ١٢٩/ ٢٠٥.

٥٩ الهيثمي، ٣، ٢٤٤، ٩، ٢١.

فجعل يبكي، ويقول: «عبيدك ببابك، خويدمك ببابك، سائلك ببابك، مسكينك ببابك».

وكان يردد ذلك مراراً. ثم انصرف ﷺ، فمر بمساكين معهم فلق خبز يأكلون، فسلم عليهم فدعوه إلى الطعام، فجلس معهم، وقال:

لولا أنه صدقة لأكلت معكم.

ثم قال: قوموا بنا إلى منزلي. فتوجهوا معه، فأطعمهم وكساهم، وأمر لهم بدارهم.[٦٠]

ولا بد للواعظ المتواضع أن يولي أهمية كبيرة للاستشارة أيضاً. إذ عليه أن يتذكر دائماً أنه ليس بالإنسان الذي يعلم كل شيءٍ أفضل من الجميع، وأنه قد يأتي أحد الإخوة بفكرة أو رأي لم يخطر له على بال من قبل. وعليه التغلب على أنانيته عند مواجهة أمر أو مسألة يجهلها، ويروِّض نفسه على قول «لا أعلم»؛ إذ إن العالم المطلق بكل شيءٍ هو الله وحده. وأما العلامة المميزة للإنسان فهي الجهالة، فهو عالم بما يعلم، وجاهل بما لا يعلم.

---

٦٠ الأبشيهي، المستطرف، بيروت ١٩٨٦، ١، ٣١.

وهنا ينبغي أن تكون حكمة العالم والفقيه الإسلامي الكبير الإمام أبي يوسف رحمه الله وفراسته دستوراً مهماً للمرء وخاصة للوعاظ والمتحدثين في مجالس الصحبة.

فذات يوم سأل الخليفة هارون الرشيد الإمام أبا يوسف عن مسألة. فقال أبو يوسف: لا أعلم!. فتدخل وزير الخليفة وقال: لقد خصصنا لك كذا مبلغ معاشاً من بيت المال وتقول لا أعلم!..فأجابه الإمام قائلاً:

إن مرتبي حسب علمي. ولو أُعطيت راتباً عما لا أعلم لما كفت خزينتكم.

وقد قدم الإمام الغزالي نموذجاً فريداً في التواضع باعترافه بعجزه عندما قال:

«لو وُضع ما لا أعلمه تحت قدمي لبلغ رأسي السماء».

ح. البشاشة، واللطف، والتبسم، واللباقة

إن منظر الأزهار والورود المختلفة الألوان والأشكال يحمل حتى أشد الناس تجهماً على الابتسامة والتفاؤل. فعلى الذي يتولى مهمة إرشاد الناس ووعظهم أن يتطبع بطبيعة الزهور بحيث يستطيع تليين حتى أشد

القلوب قسوة، وزرع البسمة على أكثر الوجوه العابسة والمكفهرة.

يجب أن تصبح الضحكة والبسمة من الطبيعة الأصلية للمتحدث في مجالس الصحبة.

فروي عن جرير بن عبد الله ﵁ أنه قال:

«ما حجبني رسول الله ﷺ منذ أسلمت، ولا رآني إلا ضحك»[٦١]

وقال النبي عليه الصلاة والسلام:

«تبسمك في وجه أخيك لك صدقة»[٦٢]

وعن أم الدرداء ﵂ قالت:

«كان أبو الدرداء لا يحدث بحديث إلا تبسم فيه. فقلت له: إني أخشى أن يحمقك الناس. فقال:كان رسول الله ﷺ لا يحدث بحديث إلا تبسم»[٦٣]

وإلى جانب ذلك على الواعظ والمتحدث في مجلس الصحبة معرفة مبادئ المعاشرة وآداب السلوك

---

٦١ مسلم، فضائل الصحابة، ١٣٤/ ٢٤٧٥.

٦٢ الترمذي، البر، ٣٦/ ١٩٥٦.

٦٣ أحمد، مسند، ٥/ ١٩٨، ١٩٩.



والتصرف التي يتبعها الناس وتلقى لديهم قبولاً حسناً، وأن يحرص على مراعاتها ولا يهملها أبداً. وعليه أن يكون لطيفاً خفيف الظل، ومرحاً وصبوراً، ويجعل هدفه الأول رضا الله تعالى، فلا يجرح أحداً بسلوكه أو كلامه، ولا يتذمر من أحد. وعليه أن يتذكر دائماً أن القلوب محل النظر الإلهي.

فقد كان النبي عليه الصلاة والسلام يولي حسن المعاملة واللطف في التربية المعنوية أهمية وعناية بالغة. كان عند صدور أي خطأ أو حدوث تقصير من أحد يستر المخطئ ويضيف رؤية الخطأ إلى نفسه حتى لا يجرح مشاعره، أو يتسبب له بإحراج بين الناس، فيقول:

«ما لي أراكم...؟!».[٦٤]

وأحياناً كان النبي عليه الصلاة والسلام عند بلوغه عن الرجل شيئاً يوجه كلامه إلى شخص ثالث ويستخدم صيغة الجمع ليخفي هوية المقصر أو المذنب، فيقول:

«ما بال أقوام يقولون كذا وكذا؟».[٦٥]

---

٦٤ انظر: البخاري، المناق، ٢٥؛ مسلم، الصلاة، ١١٩.

٦٥ أبو داوود، الأدب، ٥/ ٤٧٨٨.



ومما يدل على لطف النبي ﷺ وحسن تصرفه، ورقته، وحرصه البالغ على مشاعر الإنسان الحادثة الآتية:

ذات يوم أكل النبي ﷺ مع أصحابه لحم إبل. فخرجت من رجل ريح وكان وقت الصلاة. وحرصاً من النبي ﷺ على مشاعر الرجل والتسبب له بحرج بين القوم قال: «**من أكل لحم جزور فليتوضأ!**». فقام الصحابة وتوضؤوا. أي أن النبي ﷺ حمل الجميع على الوضوء من جديد حتى لا يُحرج رجلاً واحداً من بينهم.

ونجد شبهاً لهذه اللباقة، والرقة، وحسن التصرف في الحادثة الآتية:

كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه مع جماعة في بيت. وكان معه جرير بن عبد الله رضي الله عنه. فوجد عمر ريحاً، فقال: عزمتُ على صاحب هذه الريح لما قام فتوضأ. فقال جرير رضي الله عنه: يا أمير المؤمنين! أو يتوضأ القوم جميعاً؟!

فأعجب عمر رضي الله عنه بهذه اللفتة اللطيفة والكريمة، فقال:

رحمك الله، نعم السيد كنت في الجاهلية، نعم السيد أنت في الإسلام.[٦٦]

٦٦ علي المتقي، كنز العمال، رقم: ٨٦٠٨.

فعلى الواعظ الانتباه إلى كل حال من أحواله، وكل حركة تصدر منه، وعليه مراعاة حسن التصرف واللباقة واللطف في المعاملة حتى عند المزاح مع إخوته وأحبائه.

فالله ﷻ يريد أن تكون اللطافة والكياسة، والرقة، والأدب واللباقة مهيمنة على كل أحوال عباده وكل حركاتهم وسكناتهم، اعتباراً من مشيتهم وحتى حديثهم وخطابهم وسلوكهم. لهذا فإنه حذر المسلمين من رفع الصوت في الخطاب، والصراخ والصخب بتشبيهها بأشياء قبيحة.[٦٧] وكذلك قال ربنا ﷻ في القرآن الكريم:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ. إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ. إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾[٦٨]

---

٦٧ انظر: لقمان: ١٩.

٦٨ الحجرات: ٢- ٤.



فالله سبحانه وتعالى يأمر في هذه الآيات التي تتضمن تنبيهاً للصحابة الكرام بخفض أصواتهم أمام النبي عليه الصلاة والسلام، والمحافظة على الأدب في مخاطبته والتعامل معه.

وعلى المؤمن أيضاً التحدث بأسلوب لطيف وخاصة مع كبار السن، إذ عليه الالتزام بالأدب، وعدم رفع الصوت أمامهم.

ط. التحلي بالشفقة والرحمة

يجب أن تتوفر مشاعر قوية من الرحمة والشفقة في المؤمن الذي يجالس الناس في مجالس الصحبة ويدعوهم إلى الخير ويبين لهم الحق من الباطل. ينبغي أن تحافظ شعلة الرحمة في قلب الواعظ والمرشد على وجودها وحرارتها كالنار المتوهجة التي لا تخمد أبداً.

فالثمرة الأولى للإيمان الكامل هي الرحمة بالمخلوقات والإشفاق عليها لوجه الخالق سبحانه وتعالى. وأجمل مظهر للشفقة والرحمة وخيرها هو خدمة المخلوقات. وتُعد سائر أعمال الخير مثل التبسم في وجه الأخ المسلم، وإلقاء السلام، وإماطة الأذى



عن الطريق، وإرشاد من ضل طريقه ومساعدته، وتقديم العون للعاجز عن حمل أشيائه، وتعليم الجاهل، وإطعام أهل البيت من الرزق الحلال، والاشتراك في الجنائز ومواساة أهل الميت، والصدقة وغيرها من أعمال الخير، تُعد عبادةً وخدمةً اجتماعية في نظر كل إنسان مسلم.

أي إن الرحمة التي هي أعظم ثمرة من ثمار الإيمان توجِب على الموسر اقتسام ما في يده مع المحرومين، والعمل على تلبية حاجاتهم، وإنقاذهم من الحرمان.

المؤمن أخو المؤمن. ويجب أن لا ننسى أن أبرز سمات الأخوة هي الإيثار. وكذلك فإن الناس من غير المسلمين هم مساوون لنا في الخلق أيضاً، فيجب أن نبدي لهم الوجه المبتسم للإسلام دائماً وأبداً. وبذل الجهد لهدايتهم والدعاء لهم هو واجبنا.

إذ لما أرسل النبي عليه الصلاة والسلام علياً رضي الله عنه إلى خيبر، قال له:

«فوالله لأَن يهدي الله بك رجلاً خير لك من أن يكون لك حمر النعم» [٦٩]

---

٦٩ البخاري، أصحاب النبي، ٩، الجهاد، ١٤٣/ ٣٠٠٩.



وكذلك قال رسول الله ﷺ:

«الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء،...»[70]

وهنا لا يأمر النبي ﷺ بالرحمة بالمسلمين فحسب، وإنما يأمر بالرحمة بسائر المخلوقات الموجودة على وجه الأرض من بشر مسلمين وغير مسلمين، وحيوانات، وحتى النباتات. إن القرآن الكريم يشهد أن رحمة النبي عليه الصلاة والسلام تشمل سائر الناس، وإن كانت أكبر تجاه المؤمنين. ويبين القرآن الكريم في الوقت ذاته أن أمته أيضاً محبة ورحيمة وشفوقة بكافة البشر، وحتى بالأعداء أيضاً.[71]

الإنسان الرحيم يُحب كل من حوله. والمحبة تجاه المتحدث والواعظ تزيد الاهتمام بما يقرأه أو المسائل والمواضيع التي يتحدث عنها. أي إن معاملة الواعظ الناس بالمحبة والرحمة تضمن تدفق الرسائل التي يوجهها لهم من طريق قلبي، أي انتقالها من القلب إلى

٧٠ الترمذي، البر، ١٦/ ١٩٢٤.

٧١ انظر: آل عمران: ١١٩؛ محمد دراز، نظرات في الإسلام، ص، ٩٤.



القلب أكثر من جريانها في الطريق العقلي. وكلما ازداد اندماج حال الواعظ بمحتوى النصوص والمواعظ التي يقرأها ويلقيها على أسماع الحاضرين أو بالمسائل التي يبينها لهم، ازداد تأثيره فيهم.

المؤمن مسؤول عن المؤمن. فالأخ في الإيمان أمانة إلهية بالنسبة للمؤمن. لهذا على كل مسلم اعتبار نفسه مسؤولاً عن أخيه في الدين وأنه سيُسأل عنه في الآخرة، والنظر إليه من نافذة القلب، والسعي دائماً لتقديم العون له بمشاعر من الرحمة والشفقة والمحبة.

قال رسول الله ﷺ:

«ما من دعاء أحب إلى الله من أن يقول العبد: اللهم ارحم أمة محمد رحمة عامة»[٧٢]

وقال معروف الكرخي رحمه الله:

«من قال في كل يوم عشر مرات: اللهم أصلح أمة محمد، اللهم فرج عن أمة محمد اللهم ارحم أمة محمد، كُتب من الأبدال»[٧٣]

---

٧٢ علي المتقي، كنز العمال، رقم: ٣٢١٢، ٣٧٠٢.

٧٣ أبو نعيم، الحلية، ٨، ٣٦٦.



وكذلك ينبغي أن يرتقي قلب المتحدث والواعظ في مجالس الصحبة إلى مقام ينظر فيه إلى المخلوقات بنظر الخالق، ليصبح وكأنه مركز تأهيل وتدريب معنوي.

ومن جانب آخر، مهما وصف الشخص نفسه بالرحمة والشفقة فإن كلامه يبقى مجرد ادعاء أجوف لا يتجاوز الكلمات الجافة التي تخرج من فمه ما لم تبدُ مظاهر الرحمة والشفقة في حياته وتنعكس على سلوكه وتصرفاته. إلا أنه إذا بذل جهده وعلى قدر استطاعته للسير وفق مبدأ «الشفقة على خلق الله»، فحينها يكون رحيماً حقاً. أي إن الشخص بقدر ما يريد لغيره من المخلوقات ما يريده لنفسه، وبقدر استعداده لتقاسم ما بين يديه معهم يكون قد قطع بذلك القدر مراحل على طريق الرحمة والشفقة، وتحلى بذاك القدر بأخلاق النبي عليه الصلاة والسلام.

إن أخلاق النبي عليه الصلاة والسلام وخصال الشفقة والرحمة لديه كانت قد بلغت درجة رفيعة وسامية بحيث أنه كان يحزن حتى إذا ما رأى أذى أو تخريباً قد لحق ببيت النمل، لأنه مبعوث رحمة للعالمين ومنارة وآبدة من أوابد الرحمة والشفقة التي تُعد أم الفضائل.



وقد اقتدى به الذين ساروا على نهجه وطريقه، ومن هؤلاء أبو يزيد البسطامي رحمه الله تعالى. فقد كان البسطامي ذات مرة في سفر، وفي طريق العودة نزل في بستان لأخذ قسط من الراحة، ثم أكمل طريقه. وبعد أن قطع مسافة طويلة ووصل إلى بسطام رأى عدة نملات في جعبته. فحزن لحالها وأشفق عليها كثيراً لأنها قد حرمت من بيتها وديارها، وقرر أن يعيدها إلى مكانها، ولم يهدأ له بال حتى أوصلها إلى مسكنها.

فإن كان قلب المؤمن يحمل مثل هذه الرحمة والشفقة التي لا مثيل لها لنملة، فكيف ستكون نظرته إذاً للإنسان الذي يُعد أشرف المخلوقات!

ي. التضحية

إن ادعاء ملكية شيءٍ لم يُدفع ثمنه ضرب من العبث، وأغلى شيءٍ يجب على المؤمن دفع ثمنه هو الإيمان.

عندما يقدم شخص ما هدية لنا فإننا نسرع إلى شكره ونحاول على قدر استطاعتنا رد جميله بمثله أو أحسن منه، فكيف إن كان مقدم الهدية هو الله تعالى! فالله تعالى قد هدانا وأكرمنا بالإيمان الذي يُعد أعظم نعمة



بين أيدينا. لهذا فإن هناك قبل كل شيءٍ دَيناً مترتباً في ذمتنا تجاه ربنا سبحانه وتعالى الذي أهدانا نعمة الإيمان، ألا وهو دين الشكر.

وأصعب أمر في الحياة هو دفع ثمن الإيمان كاملاً، إذ ليس له مقدار معين. لهذا ينبغي السعي في سبيل الله بكل الإمكانات والطاقات المتاحة. فعلى المسلم التضحية بماله ونفسه وبمختلف النعم الأخرى التي بين يديه، وعليه استعمال النعم التي أنعم الله بها عليه في محلها، وأن يعلم جيداً أن الخدمة والتضحية إنما هي أكبر العلامات على الإيمان الكامل. فقد قال النبي ﷺ:

«**سيد القوم خادمهم**»[٧٤]

لقد عاش الأنصار والمهاجرون حياتهم وهم في سعي ومجاهدة مستمرة لدفع ثمن إيمانهم. والله ﷻ يريد لأمة محمد ﷺ دفع هذا الثمن، إذ يقول في كتابه العزيز:

﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ**﴾[٧٥]

---

٧٤ الديلمي، ٢، ٣٢٤.

٧٥ آل عمران: ١٠٢.



وهناك أمر أو دَين آخر ألا وهو دين الشكر على أننا من أمة النبي عليه الصلاة والسلام. فالله تبارك وتعالى قد جعلنا من أمة خير الأنبياء مجاناً ودون مقابل.

فإذا ما تأملنا في الأمر نجد أننا لم نصبح من أمة محمد عليه الصلاة والسلام بإرادتنا أو اختيارنا، وإنما أكرمنا الله تعالى بهذه المزية. وإنه للطف وإحسان إلهي عظيم لمن أدرك ذلك وعقله. وإن دفع ثمن هذا الإحسان يكون بالاستلهام من الجهود والتضحيات التي بذلها الصحابة الكرام في هذا الميدان.

كما أن التضحية في سبيل الإنسان تقوي علاقة الصحبة والصداقة؛ كذلك فإن التضحية في سبيل الله تمتن الصحبة بيننا وبين الله تعالى وتكون وسيلة لبلوغ مرضاته.

فالقرب من مرضاة الله تعالى والدخول في دائرة أهله يتطلب تضحية كبيرة، إذ إن وضع المال والنفس وسائر الإمكانات في سبيل الله يشتمل على مصاعب ومشقات جمة، مثل صعوبة التغلب على عائق النفس والشيطان.



وعلى الإنسان الذي ينهض بمهمة الوعظ والإرشاد في مجالس الصحبة أن يعلم أن هذه الوظيفة إنما هي من أجلِّ وأفضل وسائل الخدمة في سبيل الله تعالى، ثم عليه زيادة جهوده وتضحياته في هذا الميدان. إلا أنه من الخطأ التذرع بهذه المهمة وإهمال واجباته تجاه أهل بيته وأبنائه ووالديه، والتقصير في عمله الذي يكسب منه رزقه، كما أنه ليس من الصواب أيضاً جعل هذه الأمور حجة للتقصير بالخدمة في سبيل الله. أي على الواعظ إلى جانب تقديمه أجلَّ التضحيات في سبيل الله الاستمرار في القيام بواجباته الدنيوية الأخرى وتحقيق نوع من التوازن بينهما.

وعلى الوعاظ أيضاً تخصيص جزء من أوقاتهم للقاء بإخوانهم خارج مجالس الصحبة كلما أمكن ذلك. إذ إن الحفاظ على حيوية العلاقة بالاكتفاء باللقاء في أوقات الصحبة فقط أمر بغاية الصعوبة. لذا ما ينبغي للواعظ أن يصبح مثل العامل الذي يدخل ويخرج من مكان عمله من خلال البطاقة، أو مثل الموظف الذي يوقع حضوره وانصرافه في مكان وظيفة ثم يقطع كل علاقة له بذاك المكان حتى الموعد المحدد، وإنما عليه في كل فرصة متاحة العمل على استمرار علاقاته بإخوانه



وكذلك على الواعظ عدم الانتظار حتى تأتيه الفرصة، وإنما عليه أن يكون في بحث مستمر عن رضا الله بالخدمة وتقديم التضحيات. عليه أن يذهب إلى الذين يغيبون عن مجالس الصحبة، ويبحث عن إخوانه ويسأل عن أحوالهم. وعليه أن يكون بجانبهم وخاصة في الظروف الصعبة.

ونذكر هنا قصة معبرة عن جنيد البغدادي رحمه الله:

روي أن أحد تلامذة جنيد البغدادي شوهد ذات يوم وهو يرتكب معصية. ومن شدة خجله فارق ذلك التلميذ مجلسه ولم يعد إلى تكيته مرة أخرى. وبعد مدة من الزمن وبينما كان الجنيد يسير مع إخوانه وأصحابه في أحد الأسواق لمح ذلك التلميذ الذي صار متعب القلب سيء الحال. ولما لاحظ التلميذ أن شيخه الجنيد قد رآه أسرع في مشيه وسار بعيداً لخجله الشديد منه. شعر الجنيد بأمر التلميذ فالتفت إلى إخوانه وقال:

اذهبوا أنتم، فقد هرب طائر من سربي! ثم لحق بتلميذه. ولما رأى التلميذ أن شيخه يتبعه أسرع الخطى أكثر حتى وصل إلى طريق مسدود. وعندما اقترب منه شيخه ووقف أمامه تغير لونه وطأطأ برأسه.

فقال جنيد البغدادي:

«يا بني! أين تذهب، وممن تهرب! فخدمة الشيخ لتلميذ ومساعدته له إنما تكون في مثل هذه الأيام والظروف العصيبة».

ثم مسح على صدره بمنتهى الحنان والشفقة واصطحبه معه إلى تكيته. فندم التلميذ وتاب من المعصية التي اقترفها...

وخلاصة الكلام أنه ينبغي أن يكون الواعظ قريباً من أصحابه وإخوانه، ويسأل عنهم، ويتتبع أحوالهم بصورة مستمرة. وإن كان هناك مذنب أو من يرزح تحت وطأة الندم والخجل من معصية اقترفها ثم انقطع عن مجالس الصحبة وابتعد عنها لأنه لا يرى نفسه لائقاً بها، فعلى الواعظ البحث عنه والذهاب إليه ثم تذكيره بأن فعله إنما هو مكيدة من النفس والشيطان، وأنه حاجة لفيوض الصحبة وروحانيتها أشد في مثل هذه الأحوال.

إن مقياس محبة الله إنما هو التضحية في سبيل الله. وأما الكلمات والأقوال الخاوية فلا تعني شيئاً. وادعاء المحبة يحتاج إلى الإثبات بالتضحية.



لذا فإن الجهود والتضحيات التي يبذلها الواعظ في سبيل إرشاد الإخوان المسؤول عنهم هي أبرز علامة على إخلاص إيمانه ومحبته لله تعالى.

ك. الفراسة وحسن التدبير

إن طريق المعنويات الذي يهدف إلى تزكية النفس وتصفية القلب هو طريق الأنبياء والأولياء. لذا فإنه يتطلب حرصاً، واهتماماً، وفراسة. إنه يستوجب السير فيه بغاية الحذر والانتباه وكأن المرء يخوض حقل ألغام.

يخبرنا الحق سبحانه وتعالى في القرآن الكريم عن قصة بلعام بن باعوراء لنعتبر ونتعظ بها في هذا الطريق؛ إذ يبين أنه تعرض لعاقبة وخيمة عندما انحرف عن الطريق في سبيل المنافع والمصالح الدنيوية.

وهناك مثال آخر في هذا المضمار عن عاقبة الانخداع بالنفس والانجراف خلفها ويحمل الكثير من العبر والعظات، وهو قصة ثعلبة الذي كان من الصحابة الكرام:

فكان ثعلبة رجلاً فقيراً ومتعبداً في بداية أمره. ولكنه عندما أصاب شيئاً من المال والغنى غلبته نفسه، فابتعد عن المسجد وفارق الجماعة، وأخذ لا يدفع الزكاة



إلا مكرهاً، فاختار الدنيا على آخرته. ولما أشرف على الموت أصابه ندم عظيم على ما فعل، ولكن لم ينفعه ندمه الذي جاء بعد فوات الأوان.

وكذلك يضرب الله لنا في القرآن الكريم مثلاً عن حال إبليس، إذ إن إبليس أصابته الأنانية بقوله «أنا»، وألقى بنفسه في الهاوية والتهلكة بفعلته هذه.

فهذا الطريق دقيق للغاية، طريق يتطلب فراسة ووعياً ودقة كبيرة، وإلا فإن مسألة السقوط من أعلى القمم إلى أسفل سافلين ليست إلا مسألة وقت.

لهذا فإن الواعظ المتصدر مجالس الصحبة وصاحب الفراسة الذي لا يدرك أهمية وظيفته يختار الآخرة على الدوام، ولا ينخدع بالدنيا أبداً. ذلك لأنه يشعر ويدرك دائماً أنه إنما جاء إلى هذه الدنيا من أجل الفوز بالآخرة.

الفراسة واحدة من صفات الأنبياء الخمسة، وهي التصرف بلطف ورقة وذكاء عالٍ حسب الظروف المحيطة، وبما يتلاءم مع المستوى العقلي للمُخاطب، وحالته النفسية والروحية. إذ إن التصرف الذي يُسر شخصاً ما قد يُحزن غيره. لذلك فلا بد عند النهوض



بمهمة تربية الإنسان الوقوف على حالة الشخص النفسية، والتفكير بعواقب الأمور والحوادث على المدى البعيد.

ولا بد في هذا المجال من التمعن والتفكير بعمق بحياة رسول الله ﷺ صاحب الشخصية المثالية والنموذجية التي لا مثيل لها.

لقد قامت قريش قبل بعثة رسول الله بخمس سنوات بإعادة بناء ما هدم من الكعبة وإصلاحها. ولما رفعت الجدران وحان وقت وضع الحجر الأسود في مكانه، حدث خلاف كبير بين القبائل على رفعه ووضعه في محله. فكل قبيلة صارت تطلب شرف هذه المهمة لنفسها. وقد أقسموا على القتال، وغمسوا أيديهم في وعاء من الدم لتأكيد أيمانهم. ثم إنهم لتجنب الصراع وسفك الدماء بين القبائل اتفقوا على أن يُحكِّموا فيما بينهم أول رجل يدخل المسجد الحرام من باب بني شيبة، ويرضى الجميع بحكمه. وكان أول من دخل عليهم هو رسول الله ﷺ، فلما رأوه سُر الجميع برؤيته، وقالوا:

هذا الأمين، رضينا، هذا محمد!.



فلما وصل إليهم وأخبروه الخبر. مد رسول الله ﷺ رداءه على الأرض وطلب وضع الحجر عليه، ثم طلب منهم أن يمسك رجل من كل قبيلة بطرف ردائه ويرفعوه. ثم تناول رسول الله ﷺ منهم الحجر الأسود بيده الشريفة ووضعه في موضعه. وبذلك فإن النبي عليه الصلاة والسلام حال دون حدوث قتال دموي وشيك بين القبائل بفضل فراسته، وحكمته، وحسن تدبيره.[٧٦]

وكذلك فإن الدراية التي أبداها رسول الله ﷺ في الغزوات والمعارك التي خاضها في سبيل الإسلام، والحكمة والفراسة التي تمتع بها في عقد الهدن والمعاهدات وخاصة في صلح الحديبية، والفضيلة التي أظهرها، والسياسة الدقيقة التي اتبعها في فتح مكة والطائف قد صارت مضرباً للمثل ونماذج فريدة لا يمكن لبشر الوصول إلى مستواها، وساهمت في دخول عشرات الآلاف إلى الإسلام.

لهذا على المسلمين الذين يسيرون على نهج وطريق النبي عليه الصلاة والسلام التمتع بالعقلانية، والمعرفة،

٧٦ ابن هشام، ١، ٢٠٩- ٢١٤؛ عبد الرزاق، ٥، ٣١٩.

والحكمة، والذكاء، وبُعد النظر، والفراسة، وحسن التدبير والتصرف.



كان سيدنا سليمان عليه السلام يتمتع بوعي كبير وذكاء حاد منذ صغره. ويتحدث رسول الله ﷺ عن هذه الصفة التي كان يتصف بها فيقول:

كانت امرأتان معهما ابناهما. جاء الذئب فذهب بابن إحداهما، فقالت صاحبتها:

إنما ذهب الذئب بابنك!.

وقالت الأخرى:

إنما ذهب بابنك!

فتحاكمتا إلى داود عليه السلام. فقضى به للكبرى. فخرجتا على سليمان بن داود فأخبرتاه، فقال سليمان عليه السلام:

ائتوني بالسكين أشقه بينهما. فقالت الصغرى:

لا تفعل يرحمك الله، هو ابنها. فقضى به للصغرى.[77]



٧٧ البخاري، الأنبياء، ٤٠.



الفراسة نور نادر يقذفه الله تعالى في القلوب؛ أي إنها تجلٍّ لأحوال مثل العقلانية، والذكاء الحاد، والإدراك، والفهم، والوعي. إنها النفاذ إلى باطن الأمور ومعرفة وجهها الحقيقي الداخلي من خلال الإلهامات والأحاسيس الصادقة التي تتولد في القلب. ولا شك أنه لا ينال هذه الفراسة إلا من تحرر من غرور النفس، ووصل إلى مرتبة النظر بنور الله تعالى. وقد أشار النبي عليه الصلاة والسلام إلى أن كل مؤمن يتمتع بالفراسة بقدر إيمانه، وذلك بقوله:

«**اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله**»[٧٨]



يتحدث الشيخ عبد القادر الجيلاني رحمه الله تعالى عن إحدى أحواله فيقول:

«خرجت في بعض سياحاتي إلى البريَّة ومكثت أياماً لا أجد ماءً. فاشتد بي العطش، فأظلّتني سحابة ونزل عليّ منها شيءٌ يشبه النّدى فرويت، ثم رأيت نوراً أضاء به الأفق، وبدت لي صورة، ونُوديت منها:

٧٨ الترمذي، التفسير، ١٥/ ٣١٢٧.



يا عبد القادر! أنا ربك وقد حللت لك المحرمات.

فقلت: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، اخسأ يا لعين.

فإذا ذلك النور ظلام وتلك الصورة دخان. ثم خاطبني وقال: يا عبد القادر نجوت مني بعلمك بحكم ربك وقوتك في أحوال منازلاتك، ولقد أضللت بهذه الواقعة سبعين من أهل الطريق.

فقلت: لربي الفضل والمنّة.

فقيل له: كيف علمت أنه شيطان؟

قال: بقوله: قد حللت لك المحرمات».

وحقاً لو أن أحداً من العباد أُعفي من حدود الحلال والحرام بسبب أعماله الصالحة وحسن أحواله وعبادته لأعفي سيدنا محمد ﷺ وهو خير البشرية وأكثرهم صلاحاً وعبادة للحق سبحانه وتعالى. وطالما أنه لم ينل مثل هذا الإعفاء فلا يناله أحد غيره أيضاً.

فهذا نموذج من الفراسة التي يحتاجها كل إنسان مدى حياته.

إن أولى نتائج الفراسة هو حل سر لغز الموت. إذ إن معرفة الأسرار والحقائق والاطلاع عليها في العالم



الفاني لا يكون إلا بالوصول إلى مرتبة «الموت قبل الموت».

يقول مولانا جلال الدين الرومي رحمه الله:

«إن العقلاء يبكون في البداية ولكنهم في النهاية يغرقون في الابتسامات والضحكات. وأما الحمقى فإنهم في البداية يغرقون في القهقهات، ولكنهم في النهاية يبكون بكاءً شديداً حتى إنهم يضربون رؤوسهم بالحجارة. فيا أيها الإنسان! كن صاحب فراسة وانظر إلى نهايات الأمور وهي في بداياتها حتى لا تكتوي يوم الجزاء بنار الندم!..».

إن الفراسة تتطلب اللقمة الحلال، وانكشاف الحياة القلبية، والاستغراق في التفكير والتعمق في التأمل. والخطوة الأولى في عملية التفكر والتدبر هي النظر إلى الحوادث والأمور من حولنا بعين العبرة والعظة. فقد دعا القرآن الكريم عباده في الكثير من الآيات القرآنية إلى النظر في الكون بعين البصيرة لاستخلاص العبر والعظات.[٧٩]

٧٩ انظر: ق: ٦؛ يونس: ١٠١؛ الغاشية: ١٧- ٢٠؛ النور: ٤٣؛ الحج: ٦٣؛ الرعد: ٣؛ الأنبياء: ٣١؛ النحل: ٦٥؛ الروم: ٥٠؛ محمد: ١٠.



يقول شاه كرماني:

«من شخص بصره عن المحارم وأمسك عن الشهوات، وعمر باطنه بدوام المراقبة وظاهره باتباع السنة، وعوَّد نفسه أكل الحلال لم تخطئ فراسته»[٨٠]

على الواعظ صاحب الفراسة والذي يتصدر مجالس الصحبة السعي في إصلاح العلاقات بين الإخوان، وإدارة شؤونهم على أفضل صورة. وعليه أن يتبع منهجاً وأسلوباً متوسطاً في التعامل، إذ إن الإفراط في القسوة يولد الحقد والبغضاء، والإفراط في التساهل يضعف السيطرة؛ فالسلامة والتوفيق يكمنان في الوسطية.

على الواعظ البحث الدائم عن شريان ينفذ منه إلى روح أخيه المؤمن. فأولياء الله قبل خوضهم في تصحيح أحوال الناس السلبية والسيئة يسعون من خلال فيوض مجالس الصحبة وبركاتها وروحانيتها إلى تهذيب نفوسهم وتليين قلوبهم، وإعدادها لتقبل الإصلاح والتقويم. إنهم يهدئون عواصف الغضب والانفعال الهوجاء التي تعصف في النفوس ويعدون

٨٠ أبو نعيم، حلية الأولياء، ١٠، ٢٣٧.



الأرضية اللازمة لهبوب النسمات العليلة. إنهم يوجهون للحاضرين في مجالسهم رسائل وإشارات بفراسة فريدة بحيث يصبحون بحال يدركون فيها أخطاءهم وعيوبهم من تلقاء ذاتهم، ثم يسعون إلى تصحيحها وتلافيها بحماس واندفاع منقطع النظير.

على الواعظ التمتع بفراسة ونباهة دقيقة تمكنه من التفريق بين الإخلاص واللامبالاة، وبين التواضع والتذلل، وبين الوقار والكبر، ولا يخلط بينها أبداً.

وصفوة الكلام أنه على الواعظ في مجالس الصحبة أن يمعن التفكير في كل شيء، ويجعل شعاره التصرف بفراسة.

ل. معرفة الإخوان عن قرب ومتابعتهم

على الواعظ التقرب من إخوانه الذين يلتقيهم في مجالسه، ومعرفة طباعهم وصفات شخصيتهم وأخلاقهم حتى يجد الطريقة المناسبة التي يؤثر بها في نفوسهم وقلوبهم، ويحقق لهم الطمأنينة واللذة المعنوية.

فقد كان النبي عليه الصلاة والسلام في سبيل تبليغ الإسلام يهتم بالجميع ويتواصل معهم عن قرب، وكان



إذا ما تعرف إلى إنسان وتحدث إليه لا ينساه أبداً، فيظل يتتبع أخباره ويسأل عن أحواله.

فلما قدم على رسول الله ﷺ في المدينة وفد بني محارب عام حجة الوداع وأسلموا كان من بينهم رجل عرفه النبي عليه الصلاة والسلام فأمد النظر إليه. فلما رآه المحاربي يديم النظر إليه قال: كأنك يا رسول الله توهمني؟

قال رسول الله: «**لقد رأيتك!**»

فقال الرجل المحاربي:

أي والله يا رسول الله!. لقد رأيتني وكلمتني وكلمتك بأقبح الكلام، ورددتك بأقبح الرد بعكاظ وأنت تطوف على الناس.

قال رسول الله ﷺ: «**نعم!**» ثم تابع المحاربي فقال:

يا رسول الله! ما كان في أصحابي أشد عليك يومئذ ولا أبعد عن الإسلام مني، فأحمد الله الذي أبقاني حتى صدقت بك، ولقد مات أولئك النفر الذين كانوا معي على دينهم.

فقال رسول الله ﷺ: «**إن هذه القلوب بيد الله عز وجل**».



فقال المحاربي: يا رسول الله! استغفر لي من مراجعتي إياك.

فقال رسول الله ﷺ: «**إن الإسلام يجبُّ ما كان قبله**»[81]

تعلمنا هذه الحادثة الاهتمام بالناس، وعدم الحقد عليهم وبغضهم نتيجة ما صدر عنهم من أخطاء وإساءات بحقنا، وعدم الخوض في ماضيهم وما فعلوه خلاله من خطايا والانتقاص منهم بسببها. بل على العكس؛ ينبغي مسامحتهم وإسدال الستار على ما بدر منهم في السابق.



ذات يوم جاء صحابي إلى رسول الله ﷺ فقال:

يا رسول الله، أما تعرفني، قال: «**ومن أنت؟**» قال: أنا الباهلي، الذي جئتك عام الأول، قال: «**فما غيرك، وقد كنت حسن الهيئة؟**»، قال: ما أكلت طعاما إلا بليل منذ فارقتك، فقال رسول الله ﷺ

«**لم عذبت نفسك، ثم قال: «صم شهر الصبر، ويوما من كل شهر**»[82]

---

٨١ ابن سعد، ١، ٢٩٩؛ أبو الفتح، عيون الأثر، ٢، ٣١٧- ٣١٨.

٨٢ أبو داوود، الصوم، ٥٥/ ٢٤٢٨.



نجد في هذه الحادثة أيضاً كيف أن النبي عليه الصلاة والسلام كان يعرف أصحابه عن قرب ويتتبعه أحوالهم.

وكذلك كان النبي ﷺ يتبع مع كل صحابي أسلوباً تربوياً وتعليمياً يتلاءم مع حالته النفسية، ويوصي كل واحد منهم بالنوافل من العبادات حسب طاقته.

ومن الأمثلة على اهتمام النبي ﷺ بأصحابه، وتواصله معهم، وتقديمه العون المعنوي والمادي لهم ما فعله مع الصحابي الجليل جابر بن عبد الله رضي الله عنه عندما أعانه على وفاء دين أبيه الذي استشهد في إحدى المعارك وترك وراءه لجابر أخوات بنات وديناً.[٨٣]

وكان رسول الله ﷺ إذا لم ير أحد أصحابه ثلاثة أيام سأل عنه. فإن كان في سفر دعا له، وإن كان في بيته زاره، وإن كان مريضاً عاده ودعا له بالشفاء.[٨٤]

وكذلك كان إذا غاب أحد الصحابة عن الجماعة سأل عنه، وتحرى عن أمره فيما إن كان به سوء منعه من الحضور.

---

٨٣ انظر: البخاري، الوصايا، ٣٦، الاستقراض، ٩، الجهاد ٤٩، البيوع، ٣٤؛ مسلم، المساقاة، ١٠٩؛ الترمذي، التفسير، ٣/ ٣٠١٠؛ ابن ماجه، المقدمة، ١٣/ ١٩٠؛ أحمد، مسند، ٣، ٣٠٣، ٣٩١.

٨٤ الهيثمي، ٢، ٢٩٥.



وخير مثال على حرصه واهتمامه هذا هو الحادثة الآتية:

لما نزل قول الله ﷻ:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ ...﴾ [85]

دخل الصحابي ثابت بن قيس رضي الله عنه بيته وحبس نفسه وبدأ يبكي، وكان ذو صوت مرتفع. ولما غاب مدة افتقده النبي عليه الصلاة والسلام وسأل عنه. فقال رجل: يا رسول الله، أنا أعلم لك علمه، فأتاه فوجده جالسا في بيته، منكسا رأسه، فقال: ما شأنك؟ فقال: شر، كان يرفع صوته فوق صوت النبي ﷺ، فقد حبط عمله، وهو من أهل النار، فأتى الرجل فأخبره أنه قال كذا وكذا، فقال موسى بن أنس: فرجع المرة الآخرة ببشارة عظيمة، فقال:

«اذهب إليه، فقل له: إنك لست من أهل النار، ولكن من أهل الجنة» [86]



٨٥ الحجرات: ٢.

٨٦ البخاري، المناقب، ٢٥/ ٣٦١٣، التفسير، ٤٩/ ١؛ مسلم، الإيمان ١٨٧.



والخلاصة أن المؤمن مسؤول عن أخيه المؤمن. وهذه المسؤولية مهمة للغاية لمن يتولون مهمة الوعظ والإرشاد في المجتمع. إذ الراعي مسؤول عن قطيعه، فهو مكلف ومجبر على حمل الخروف الذي كسرت قدمه على عاتقه للَّحاق بباقي أفراد القطيع. وكذلك الأمر بالنسبة للواعظ، فمسؤولية الإخوان متعلقة بذمته. فإذا غاب أحدهم عن مجلسه كان واجبه السؤال عنه والتحري عن أخباره، وإذا مرض ذهب لزيارته. فكبارنا وأجدادنا كانوا إذا غاب أحد الإخوان عن المجلس تفقدوه وسألوا عنه، وتوجهوا إلى بيته فاصطحبوه معهم وجاؤوا به إلى المجلس مرة أخرى.

وعلى الواعظ اللجوء إلى مختلف الوسائل واستغلال سائر الفرص مثل: إلقاء السلام، وتقديم الهدايا، والإكثار من الزيارات من أجل زيادة المحبة والألفة بين الإخوان.

إن مهارة الذي يعمل في مهنة الإصلاح تظهر في الأشياء التي يصلحها. وكذلك فإن نجاح الواعظ في مجالس الصحبة تظهر في الأشخاص الذين يتولى أمر وعظهم وإرشادهم.



لهذا على الواعظ أن يضع نصب عينيه أن إهماله وتقصيره ولا مبالاته قد تتسبب بإهدار الكثير من الطاقات وإخماد جذوتها، وعليه أن يبقى متيقظ الضمير والوجدان في مهمته.

م. الاهتمام بأمور الإخوان

ينبغي للواعظ الاهتمام بكل أحوال أصحابه، ويعتبرهم إخوة حقيقيين، فيحزن لأحزانهم، ويهتم لهمومهم، ويفرح لأفراحهم. ويجب أن تظهر الصحبة والأخوة على لسان حاله أيضاً.

فالله تعالى سبحانه وتعالى يحب من يقيم مثل هذه الرابطة من الأخوة المخلصة، ويظلهم في ظل عرشه يوم القيامة يوم لا ظل إلا ظله.

ولا ننسى أن الإنسان الذي حللنا مشكلته هو منا، والمحبة فوق كل مشكلة.

كان رسول الله ﷺ إذا جاءه عبد اهتم لهمه. وإذا جاءه طفل صغير أصغى إليه واستجاب لمسألته، ووجد طريقاً للنفاذ منه إلى قلبه.

يقول أنس بن مالك رضي الله عنه:



«كان النبي ﷺ رحيماً، وكان لا يأتيه أحد إلا وعده، وأنجز له إن كان عنده، وأُقيمت الصلاة. وجاءه أعرابي فأخذ بثوبه فقال: إنما بقي من حاجتي يسيرة، وأخاف أنساها! فقام معه رسول الله ﷺ حتى فرغ من حاجته، ثم أقبل فصلى»[87]

إن الاهتمام بشؤون الإخوان في الدين يحتل مكانة مهمة للغاية في حياة المؤمن، ويبلغ مرتبة العبادة الاجتماعية، ويدل على ذلك أحاديث النبي عليه الصلاة والسلام الواردة في هذا المجال، ومن ذلك قوله ﷺ:

«...**الله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه**...»[88]

«...**من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرج عن مسلم كربة، فرج الله عنه كربة من كربات يوم القيامةن**...»[89]

علينا أن لا ننسى أن كل إنسان يحتاج إلى الاهتمام، والإحسان، والمعاملة الطيبة. فاللفتة الكريمة والاهتمام

---

٨٧ البخاري، الأدب المفرد، ٢٧٨.

٨٨ مسلم، الذكر، ٣٧- ٣٨/ ٢٦٩٩؛ أبو داود، الأدب، ٦٠.

٨٩ البخاري، المظالم، ٣؛ مسلم، البر، ٥٨/ ٢٥٨٠.



والإحسان يقلل من عداوة العدو، ويزيد من محبة الصديق وقربه.

يقول الحق سبحانه وتعالى في كتابه العزيز:

﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ [٩٠]

قال ابن عباس ﵄: عن «ادفع بالتي هي أحسن»:

«الصبر عند الغضب والعفو عند الإساءة، فإذا فعلوه عصمهم الله، وخضع لهم عدوهم»[٩١]

ومن جهة أخرى؛ فإن كل إنسان يعتقد أن الكلام الذي يتكلم به مهم وله قيمة كبيرة، ويريد أن يلقى من يصغي إليه ويهتم به. لهذا على الواعظ أن يولي كل من يراجعه في مسألة اهتماماً كبيراً ويصغي إليه ويأخذه على محمل الجد. وعليه أن يجد حلاً لمسألته، فإن لم يكن باستطاعته ذلك فعليه على الأقل مواساته والتخفيف عنه من عبئها بكلام طيب.

٩٠ فصلت: ٣٤.

٩١ البخاري، التفسير، ٤١/ ١.



ن. العلم والعرفان

الوعاظ في مجالس الصحبة ليسوا مجرد أشخاص عاديين يقدمون معلومات للناس، وإنما ينبغي أن يكونوا روّاداً وأئمة يزرعون بذور المحبة والصدق والإخلاص في قلوب الناس، ويثيرون فيهم الحماس والاهتمام، ويفتحون أمامهم الآفاق، ويعلمونهم الأصول والمبادئ والقيم، ويدعونهم إلى الفطرة والعقل السليم والإيمان.

فليس من الصواب الانكباب على العلم الظاهري والاقتصار عليه والتوقف عنده، وإنما ينبغي استيعابه وهضمه قلباً وتحويله إلى العرفان. فالحق سبحانه وتعالى يريد من عباده نفساً مطمئنة، وقلباً سليماً منيباً.[٩٢]

لهذا فإن هناك حاجة ملحة للعلم والعرفان الذي من شأنه تزيين القلوب بالحقائق الإلهية.

فلا يمكن من دون العلم والعرفان فهم تجليات امتحان الحياة فهماً سليماً، ولا يمكن القيام بما يلزم تجاهها بالصورة المطلوبة. هناك حاجة ماسة للحِكم

---

٩٢ انظر: الفجر: ٢٧؛ الشعراء: ٨٩؛ ق: ٣٣.



والحقائق التي من شأنها تربية النفس وذلك للوقاية من المصائد والشراك المزينة بالزخارف النفسانية، وتجنب الوقوع فيها. فالنفس التي لم تخضع للتربية تحمل في جوهرها ميلاً دائماً للعالم السفلي، فهي من هذه الزاوية تشبه الهرة الجائعة، إذ لو وضعت أمام الهرة لحماً مشوياً فهي تبدأ بالتهامه بشهية، ولكن إذا ما مرت أمامها فأرة في تلك الأثناء فهي بمقتضى طبعها سرعان ما تترك هذا اللحم اللذيذ والشهي جانباً وتجري خلف الفأرة.

وهذا حال التعساء والأشقياء الذين يسعون خلف رغبات النفس وأهوائها تاركين طاعة الله ورسوله الباعثة على الطمأنينة والسعادة وراء ظهورهم.

فمثل هؤلاء يميلون إلى الحرام ، والحلال قائم أمامهم؛ ويسعون إلى الزنا، والزواج متاح لهم؛ ويتعاملون بالربا طمعاً وجشعاً، والرزق الحلال ميسر لهم... وباختصار إنهم يخرجون عن حدود الشرع ليصبحوا ألعوبة بيد النفس.

في رحلة المعراج رأى جبريل عليه السلام ورسول الله ﷺ أناساً يعذَّبون. بين أيديهم لحم ناضج في قدر،



ولحم آخر نيء خبيث، فجعلوا يأكلون الخبيث ويدعون الطيب. فقال رسول الله ﷺ: يا جبريل! من هؤلاء؟

قال جبريل عليه السلام:

«الرجل من أمتك يقوم من عند امرأته حلالاً، فيأتي المرأة الخبيثة، فيبيت معها حتى يصبح، والمرأة تقوم من عند زوجها حلالاً طيباً، فتأتي الرجل الخبيث فتبيت عنده حتى تصبح» [٩٣]

إذاً؛ فالإنسان إذا لم يخضع للتربية بالمعايير الإلهية فإن هرة النفس تميل بقلبها إلى أي فأرة تقفز أمامها فتجري خلفها وتهلك. فعند التأمل في حياة الظلمة والطغاة من أمثال فرعون ونمرود نجد أنهم أقدموا على مختلف أشكال الظلم والبغي، واقترفت أيديهم أفظع الجرائم والإبادات في سبيل أهوائهم التي هي كفئران صغيرة.

لهذا يُشترط أن يتوفر في الواعظ الذي يتولى مهمة تبيين الحق والخير للناس العلم والعرفان الذي يحمي به نفسه من المصائد والمكائد النفسانية.

٩٣ الهيثمي، ١، ٦٧ – ٦٨.



ومن جهة أخرى؛ إذا كان هناك نقص بغذاء القلب في مجالس الصحبة فإنه يؤدي إلى ازدياد أمراض القلب في مكان يُفترض أن يُعالج فيه. لهذا كان والدي موسى أفندي رحمه الله يشترط الدراية، وحسن الخلق، والنضج المعنوي في الذي يعطيه وكالة الوعظ في مجالس الصحبة. فلم يكن يجد من الصواب إسناد وظيفة الصحبة إلى شخص لمجرد كثرة علومه الظاهرية وبراعته فيها. إذ إن الفائدة الأساسية في الصحبة تكون من الصدور أكثر من السطور. أي إنها تتحقق نتيجة لعملية التبادل من قلب إلى قلب. فالقلوب في مجالس الصحبة تتغذى من الطمأنينة والسكينة، والفيوض والرحمة الإلهية التي تتنزل عليها أكثر مما يُقرَأ فيها من السطور. وكان موسى أفندي يرى أنه لا يبقى للصحبة فيوض وروحانية إذا لم ينتبه الواعظ إلى هذا الأمر.

وبناء على ذلك ينبغي للواعظ في مجالس الصحبة العمل على تطوير ذاته وعدم إهمالها بشكل من الأشكال لتقديم خدمة ذات قيمة. عليه أن يسعى للوصول إلى مرتبة الكمال المادي والمعنوي. ينبغي أن يكون سعيه المستمر للكمال والنضوج علامته الفارقة. وعليه أن



يحقق كلاً متوازناً ومنسجماً من المعلومات والمعنويات. وعليه إذا واجه أي موقف أو حادثة تخيل النبي عليه الصلاة والسلام ثم يبذل غاية جهده للتحلي بأحواله في مختلف المواقف. وإلا فإن الواعظ يكون قد ضيع وقت الحاضرين الذي ائتمن عليهم هباءً.

فلا ينبغي أن يكون ميدان اهتمام الواعظ الذي يتصدر مجالس الصحبة محدداً سواء من حيث الاختصاص أو المعلومات. إذ ينبغي أن يكون ميدان اهتمامه القرآن الكريم، والأحاديث النبوية، وأولياء الله وتجليات الحكمة الإلهية المبثوثة في الكون الذي يُعد مثل كتاب عظيم مفتوح أمامنا.

س. أن يكون الواعظ من أهل الحال

على الواعظ أن يقدم لمن حوله شخصية إسلامية، وطبيعة سليمة، وروحانية قوية تبعث على الإعجاب. لهذا ينبغي أن يكون قلب الواعظ قبل كل شيءٍ مشحوناً بالطاقة الإيجابية، وإلا فإن جلسة الصحبة لن تكون إلا عبارة عن لقاء جاف وممل بين أربعة جدران.

يريد الحق سبحانه وتعالى منا قلباً مضحياً ومزيناً بالتقوى. فهو يريد منا:



قلباً سليماً: أي قلباً نظيفاً طاهراً قد نُقي وصُفي من سائر الأهواء والرغبات النفسية، ومن الكدورات وكأنه مُرِّر بأجود أنواع المصافي. يريد منا انتزاع سائر أشكال المحبة والميول الخاطئة الموجودة في القلب سواء كانت للماديات أو المعنويات، والصعود به إلى مرتبة يصبح فيها محل النظر الإلهي المُزين بالصفات الجمالية. إذ إن الله ﷻ يقول في كتابه الكريم:

﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ. إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [٩٤]

فربنا سبحانه وتعالى يدعونا نحن عباده إلى الجنة «دار السلام» بقلب سليم.

وكذلك يريد الله تعالى منا:

قلباً منيباً: أي قلباً متجهاً وعائداً إليه دائماً، وملتزماً بالحق والخير في كل الأحوال. قلباً مفرِّقاً بين الخير والشر، وسائراً في الاتجاه الذي يبينه الحق سبحانه وتعالى ، وباحثاً عن رضا الله تعالى في كل الحركات والسكنات، ومتحرراً من كل ما سواه...

---

٩٤ الشعراء: ٨٨– ٨٩.



فقد جاء في القرآن الكريم:

﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ. هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ. مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ﴾ [٩٥]

ويريد ربنا عز وجل منا:

نفساً مطمئنة: أي نفساً وصلت بذكر الله تعالى إلى مرتبة الطمأنينة، والسكينة، والسلام. يريد منا نفساً خضعت للتزكية فدخلت فيها كافة القوى البدنية تحت إمرة الروح، نفساً رضيت عن الله تعالى في سائر الأحوال وفي مختلف ظروف الحياة ورضي الله عنها، نفساً اطمأنت بالحق سبحانه.

فالواعظ الذي لا يتعهد عالمه الداخلي بالبناء بهذه الصورة لن يفلح بتقديم العون للآخرين في ميدان المعنويات بالشكل المطلوب. فعلى الواعظ أولاً تزيين حياته بالجماليات والمواعظ والإرشادات التي يقرأها على أسماع الآخرين ويوصيهم بها. إذ إن الصحابة

---

٩٥ ق: ٣١- ٣٣.



الكرام كانوا يستمعون إلى وصايا النبي عليه الصلاة والسلام ويشاهدون تطبيقاتها العملية في شخصيته المثالية.

على الواعظ أن يحرص على حمل نفسه أولاً على الالتزام بالوصايا التي يلقيها على مسامع الآخرين، ويحذر أشد الحذر من أن يكون واحداً من هؤلاء الذين يخاطبهم الله ﷻ في كتابه العزيز:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ. كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [٩٦]

أي على الذي يتولى توجيه الناس إلى الحق والخير أن يصبح مركز جذب معنوي يعكس ذلك الحق والخير في أحواله وتصرفاته، وبذلك فإنه يوصي الناس بالحق بلسان حاله أيضاً.

يقول مولانا جلال الدين الرومي رحمه الله تعالى:

«من يعظ الناس بلسان حاله خير ممن يعظ بلسان مقاله».

---

٩٦ الصف: ٢-٣.

إن أصغر نصيحة صادرة من شخص يمثل الإسلام بشكل جميل وسليم في شخصيته أقوى وأبلغ في التأثير من مئات النصائح التي لا تتمثل في شخص مَن صدرت عنه.

فليس بإمكان الشخص الذي لا تتطابق أقواله مع أفعاله إقناع الناس بما يقول مهما بذل من جهد. يقول ضياء باشا:

«لا يُنظَر إلى قول الإنسان، فمرآته عمله».

لهذا ينبغي أن يكون الواعظ دقيقاً في تصرفاته وأفعاله ومتحرياً الصدق والسلامة وخاصة في العبادات، والمعاملات، والأخلاق.

يقول أبو العالية وهو من كبار أئمة التابعين:

«كنا نأتي الرجل، لنأخذ عنه – أي الحديث –، فننظر إذا صلى، فإن أحسنها، جلسنا إليه، وقلنا: هو لغيرها أحسن. وإن أساءها، قمنا عنه، وقلنا: هو لغيرها أسوأ»[97]

لهذا ينبغي أن يكون الواعظ في مجالس الصحبة ذو خلق حسن وقلب رحب. إذ إن الوعاظ ينقلون ما في

97 الدارمي، المقدمة، ٣٨/ ٤٢٩.



قلوبهم من المحبة، والعشق، والوجد إلى الحاضرين في مجالسهم. فمثلهم كمثل نسائم الصباح التي تهب من بستان مفروش بأزهار وورود الجوري والقرنفل والياسمين والرياحين فتنشر الروائح العطرة حيثما ذهبت، وتُدخل البهجة والسرور في القلوب... أي إن الحال المعنوية في مجلس الصحبة تعكس حالة الواعظ القلبية.

لذلك على الواعظ أن يتصرف في مختلف نواحي حياته وخاصة في مجالس الصحبة بشكل يليق بشخصيته الإسلامية، وأن يعلم جيداً أن كل حركة تصدر عنه، وكل كلمة يتلفظ بها، وحتى كل طاقة إيجابية أو سلبية تنبعث من قلبه إنما هي لبنة توضع في بناء شخصية الحاضرين في مجلسه. إذ إن بنية العامة تتشكل حسب أئمتهم وقياديهم، فعصر الرسول تشكل بروحانية النبي عليه الصلاة والسلام. وأبرز مثال على ذلك قول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه في ظل التربية النبوية:

«ولقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل»[٩٨]

---

٩٨ البخاري، المناقب، ٢٥.



فما ينبغي أن تبقى مجالس الصحبة مجرد قراءة جافة من كتاب. إذ التفكر هو الذي يتقدم ويطغى أكثر في قراءة الكتاب. وأما في مجالس الصحبة فإن الإحساس يتقدم على التفكر. فينبغي التركيز أكثر على عمق العواطف والأحاسيس، لأن تلقي الحاضرين في مجالس الصحبة للطاقة الروحانية يستوجب محاسبتهم لذاتهم بتلك الطاقة.

فينبغي لكل إنسان في الصحبة إخضاع حياته وأفعاله وأعماله للمراجعة والمحاسبة ليعرف موقعه من الآيات التي تتلى، والأحاديث التي تُقرأ، والحكم والحقائق التي تلقى في الصحبة. فهذه الحال تدل على أن الصحبة قد بلغت مستوى مقبولاً، وهذا متوقف على كون الواعظ من أهل الحال.

فإذا لم تظهر في مجالس الصحبة مثل هذه الحال، ولم تقدم الصحبة وصفة لكل إنسان حاضر، ولم تحملهم إلى عمق المشاعر فإنها لا تتعدى أن تكون مجرد اجتماع لقراءة كتاب عادي.



ع. التحضير للصحبة

إن مجالس الصحبة هي نوع من جامعات الطريق المعنوي. ولتقديم مستوى تعليمي وتربوي عالٍ في هذه الجامعات لا بد من أخذ المجالس على محمل الجد، والقيام بالتحضيرات اللازمة، وتنظيمها بصورة جيدة، والعمل على تطبيق ما يُلقى فيها من دروس وحكم ومواعظ قدر المستطاع. أي لا يجب النظر إلى الصحبة على أنها مجرد نشاط فيه قراءة وإصغاء فحسب. فالقراءة بداية العمل ومفتاحه، ولا بد للتقدم أكثر في مجلس الصحبة من الولوج إلى عمق العواطف والمشاعر، وسريان الحال. وأما إن بقي الأمر عند القراءة فحسب فلا تتحقق الصحبة بالمعنى الكامل. إذ إن الإنسان بإمكانه قراءة الكتاب وحده في البيت. وأما في الصحبة فيسود جو من الرحمة، والروحانية والمحبة النابعة من التشارك والاجتماع والمعية.

على الواعظ أن يقرأ الكلمة التي سوف يلقيها في المجلس بمفرده ويفهمها، ويستوعبها جيداً. إذ لا يمكن إفهام درس لم يستوعبه الملقي بعد.

وعلى الواعظ الاهتمام بوجباته المعنوية اهتماماً



بالغاً، وخاصة إحياء الأسحار. وعليه مواجهة ظروف الحياة المتقلبة ومصاعبها بالصبر والشكر والتسليم، وعدم فقدان توازنه القلبي أبداً، وحفظ نفسه من الأنانية في الغنى، ومن التذمر في الفقر.

وعليه الالتزام بحدود الحلال والحرام وعدم تجاوزها، واجتناب الشبهات التي بينها. وعليه إبداء اهتمام وعناية خاصة بالأمرين الآتيين:

- **اللقمة الحلال التي تدخل جوفه.**
- **والحال المعنوية لمن يصاحبهم.**

لأن الإنسان شديد التأثر بهذين الأمرين.

وكذلك فإن الأهلية شرط في الواعظ، فيجب إعداد أشخاص يتمتعون بخصال مناسبة في هذا الميدان. وحتى إذا حضر في مجلس الصحبة رجل يتمتع بالأهلية أكثر ممن يلقي الدرس فعلى الأخير طلب قراءة الفاتحة وقراءة سورة الإخلاص ثلاث مرات ثم إفساح المجال لذاك الرجل لتولي إتمام الصحبة.

على المرء الدخول إلى مجلس الصحبة بحماس العبادة كما لو كان داخلاً إلى مسجد. وعلى الواعظ أن يستحضر في قلبه وفكره أنه سوف يذكر الله تعالى مع



إخوانه في الدين، فينقِّي قلبه من ما سوى الله، ويستعد لروحانية الصحبة.

ينبغي أن تكون مجالس الصحبة حيوية بحيث توقظ النائم والغافل من غفلته. ولا شك أن هذه الحيوية متوقفة على الحالة القلبية للواعظ وللمستمعين. وإلى جانب ذلك فإن الواعظ مسؤول عما إذا ألقى كلامه بصورة تؤدي ملل الحاضرين ونومهم وغفلتهم.

يجب أن تصبح الصحبة مركز جذب وميل معنوي متبادل. وأهم عامل يسهم في تحقيق ذلك هو المحبة التي تشكل خطاً يصل بين القلوب. وإذا حدث انقطاع في هذا الخط يتوقف التبادل المعنوي، أي لا تحصل الفائدة المرجوة من الصحبة.

على المؤمن التفكير ملياً بالكلمة التي سوف يقولها وبالمقام الذي سيقولها فيه. وعليه أن لا ينسى أبداً أن هناك آلات تصوير إلهية تسجل عليه كل كلمة يتفوه بها.

ينبغي أن يكون الدرس في الصحبة بكلمات وعبارات موجزة، ومعبرة وبليغة، ومشتملة على الحكمة ومختارة بعناية. فقد قال رسول الله ﷺ: «**إن من البيان لسحراً**»[٩٩]

٩٩ البخاري، النكاح، ٤٧.



ويقول الإمام علي رضي الله عنه:

«إن القلوب تمل كما تمل الأبدان فابتغوا لها طرائف الحكمة».

وهذا لا يحصل إلا بالتحكم باللسان، وبالقدرة على اختيار أنسب الكلمات للمقصود. وأما ذروة هذه القدرة فهي القرآن الكريم. فالآيات القرآنية معجزة عظيمة وقمة في الفصاحة والبلاغة التي لا مثيل لها أبداً. لهذا ينبغي الاستفادة جيداً من الخطاب في القرآن الكريم الذي يفيض بالحكمة.

ويولي القرآن الكريم أهمية كبيرة لآداب الحديث، والحرص على استعمال العبارة المناسبة في المكان المناسب. وخير شاهد على هذا أسلوب العبارات الذي يحثنا على استعماله في مواضع معينة، ومن أمثلة ذلك:

قَوْلًا لَيِّنًا: الكلام اللين حتى مع الظالمين.

قَوْلًا مَيْسُورًا: الكلام الذي يواسي المسكين.

قَوْلًا كَرِيمًا: الكلام الطيب والجميل مع الوالدين.

قَوْلًا سَدِيدًا: الكلام الحق أمام الناس جميعاً.

قَوْلًا مَعْرُوفًا: الكلام الجميل مع اليتامى والمحتاجين.



قَوْلًا بَليغًا: الكلام الواضح، والصريح، والمشتمل على الحكمة عند القيام بالتبليغ.

وكذلك يقول ربنا سبحانه وتعالى:

﴿...وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا...﴾ [100]

﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ...﴾ [101]

إذا كان قلب الإنسان دائم الحضور مع الله تعالى فإنه تمطر اللآلئ من لسانه، وتظهر الحقائق القرآنية على حاله.

وأما أفصح الكلام بعد القرآن الكريم فهو أحاديث النبي عليه الصلاة والسلام. فالأحاديث النبوية من النوع السهل الممتنع، أي إنها تبدو للوهلة الأولى سهلة وبسيطة، ولكنها في الحقيقة بغاية البلاغة، والفصاحة، والجزالة، والقوة. وهو بذلك يحتل مرتبة الصدارة بين الكلام البشري.

وبعد الحديث يأتي كلام الأولياء، فكلماتهم وأقوالهم قطرات مترشحة من القرآن الكريم والأحاديث النبوية

---

١٠٠ البقرة: ٨٣.

١٠١ الإسراء: ٥٣.



الشريفة. فهم يضعون المرآة أمام قلوب الناس فتحين لهم رؤية ذواتهم ومعرفتها عن قرب. وبذلك فإنهم يحددون وجهة قلب الإنسان.

والخلاصة أنه ينبغي للواعظ إعداد مواعظه ودروسه من القرآن الكريم والسنة النبوية، وكلام الأولياء المليئة بالحكم. وعليه أن يجعل لسانه ينبوع حكمة يفيض بالحقائق الإلهية.

ف. الاهتمام بالمظهر والثياب وحسن الهيئة

الإسلام دين النظافة، والطهارة، والذوق الرفيع، والجمال. فينبغي للمسلم الاهتمام بمظهره الخارجي والعناية بهيئته وثيابه كما يهتم بأحاسيسه ومشاعره القلبية. وبناءً على ذلك ينبغي أن يكون المسلم نموذجاً للإنسانية من حيث الاهتمام والعناية بنظافته، وترتيبه، وجماله، وزينة بدنه، وثيابه، وهيئته، ومكان جلوسه، والبيئة المحيطة به، وأن يبث الوقار والطمأنينة حوله أينما حل.

لقد أولى النبي عليه الصلاة والسلام مدى حياته عناية خاصة وكبيرة بمختلف أشكال النظافة. فقد كان شديد



الحرص على ارتداء الثياب النظيفة والجميلة، والتطيب بأحسن الطيب، والابتعاد عن كل أمر سيءٍ قد يتسبب بالنفور والأذى للناس من حوله سواء من حيث المظهر أو السلوك أو الرائحة.

فقد جاء في رواية:

«كان رسول الله ﷺ يُعرف بالليل بريح الطيب»[١٠٢]

وروي عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه حُبب إليه من الدنيا الطيب.[١٠٣]

وقال ﷺ في حديث آخر:

«لولا أن أشق على أمتي أو على الناس لأمرتهم بالسواك مع كل صلاة»[١٠٤]

وذات يوم كان رسول الله ﷺ في المسجد. فدخل رجل ثائر الرأس واللحية، فأشار إليه رسول الله ﷺ بيده أن اخرج. يعني إصلاح شعر رأسه ولحيته.[١٠٥]

---

١٠٢ الدارمي، المقدمة، ١٠.

١٠٣ النسائي، عشرة النساء، ١٠؛ أحمد، مسند، ٣، ١٢٨، ١٩٩.

١٠٤ البخاري، الجمعة، ٨/ ٨٨٧.

١٠٥ الموطأ، الشعر، ٧؛ البيهقي، الشعب، ٥، ٢٢٥.



وكذلك رأى رسول الله ﷺ ذات مرة رجلاً شعثاً قد تفرق شعره، فقال:

«**أما كان يجد هذا ما يسكن به شعره**»

ورأى رجلاً آخر وعليه ثياب وسخة، فقال:

«**أما كان هذا يجد ماء يغسل به ثوبه**» [١٠٦]

كل ما ذكر يشير إلى أنه على المسلم أن يكون دائماً نظيف الثياب والبدن، حسن المنظر والهيئة، وطيب الرائحة.

وعلى الوعاظ بشكل خاص أن يكونوا بحسن مظهرهم، وترتيبهم، ونظافة ثيابهم وهيئتهم، وطيب رائحتهم نماذج حية للجماعة التي يجالسونها ويتولون وعظها وإرشادها.

١٠٦ أبو داوود، اللباس، ١٤/ ٤٠٦٢؛ النسائي، الزينة، ٦٠.



٢- الآداب التي ينبغي أن يلتزم بها الإخوان الذين يحضرون مجالس الصحبة

أ. إخلاص النية والتواضع

فعلى الواعظ وكذلك الحاضر لمجلس الوعظ والصحبة إعداد نفسه من الناحية المعنوية في وقت سابق، وأن يدخل إلى المجلس بشعور العبادة، أي كأنه يقوم بأداء عبادة من العبادات، لأن الاشتراك في مجالس الصحبة المعنوية اتباع لسنة النبي عليه الصلاة والسلام.

لهذا على الإنسان إدراك أهمية مجالس الصحبة جيداً، والنظر إلى حضور مجالس الصالحين والأولياء على أنه نعمة كبيرة، ثم الإقبال على الاشتراك فيها وحضورها بمحبة وشوق.

إن الفائدة الأصلية التي يحصِّلها الإنسان من مجالس الصحبة هي أولاً مراجعة نفسه ومحاسبتها في إطار المعايير المعنوية التي تُقدَّم في تلك المجالس، وتشخيص عيوبه، وأخطائه ومواطن ضعفه. ثم الاستغراق بالتفكير وإذكاء المشاعر والأحاسيس ضمن أجواء الصحبة المعنوية، ثم تلقي وصفة علاجية معنوية



في سبيل تصحيح أخطائه وإصلاح حاله. فالمؤمن الذي يستمر في حضور مجلس الصحبة بنية مخلصة وقلب صادق يكتسب عزيمة وإصراراً على زيادة أعماله الصالحة، وتحسين مستوى أخلاقه.

ومن الضروري لتحقيق النفع والفائدة من مجالس الصحبة المعنوية أن يكون القلب متيقظاً ومستعداً للتلقي. فالخامل في مجلس الصحبة واللامبالي يشبه القارب الذي لم يُفرَد شراعه وسط البحر فلا يستفيد من الرياح شيئاً ولا يحقق أي تقدم. فمثل هذا الإنسان الذي لا يدخل في رحاب الفكر والمشاعر، ولا يُشرع باب قلبه أمام فيوض الصحبة وروحانيتها يبقى محروماً من الفائدة المعنوية.

لذا علينا استغلال كل لحظة من اللحظات التي نقضيها في مجالس الصحبة بقلب متيقظ ومحاولة استخراج العبر والدروس، والاغتراف من الروحانية والمشاعر والأحاسيس الرقيقة التي تسود تلك الأجواء لتحصيل فائدة معنوية ترخي بظلالها على حياتنا مدى العمر.



وإضافة إلى ما تقدم ينبغي للإنسان حضور مجلس الصحبة بتواضع تام، وعليه أن يصغي إلى ما يُلقَى فيها من كلمات ودروس بغاية الأدب حتى وإن كان يعرفها من قبل، ويعمل على تلقي الفيوض من ذلك الجو المعنوي الروحاني.

يقول الإمام الشعراني في كتابه «البحر المورود»:

«إن أكثر من يستفيد من المجلس المعنوي هو الأكثر تواضعاً فيه. إذ إن الرحمة الإلهية دائماً ما تتنزل على قلب المتواضع فقير المشرب. أفلا ترون أنه حتى مياه الأمطار دائماً ما تتجمع في الحفر والوديان، وتجري في الجداول».

وانطلاقاً من ذلك على كل من يحضر مجلس الصحبة بنية مخلصة لكي يحصل الفائدة منه أن يفتح قلبه لفيوضه مهما كان كثير العلوم. أما من يغتر بنفسه لمعرفته بالمواعظ والدروس التي تُلقى في مجالس الصحبة، ويُعرض عنها فلا يجني أي فائدة منها مهما كانت محاطة بالروحانية والفيوض الإلهية. إذ إن من يمد وعاءه إلى جدول الماء مقلوباً لا يعود حتى بقطرة



ماء. فالذي يحمل مثل هكذا قلب معلول، أي المصاب بداء غرور النفس لا يُحصل فائدة معنوية مهما تردد على مجالس الصحبة وأكثر من حضورها.

ويُلخص يونس أمره رحمه الله هذا الموضوع بشكل جميل فيقول:

إن كنت غافلاً عن ملء كأسك من الجدول، فإنه لا يمتلئ بنفسه وإن وقفت عنده ألف عام...

فعلى الإنسان مهما كان عالماً ومطلعاً أن يصغي إلى المواعظ والدروس في مجالس الصحبة باهتمام وأدب وكأنه يسمعها لأول مرة.

ب. محبة الإخوان واحترامهم

يبين الله ﷻ في القرآن الكريم أن المؤمنين إخوة.[١٠٧] وكذلك يخبرنا النبي عليه الصلاة السلام أن الإيمان لا يكمل إذا لم تقم بين الإخوة في الدين رابطة من المحبة السليمة.[١٠٨]

---

١٠٧ انظر: الحجرات: ١٠.

١٠٨ انظر: مسلم، الإيمان، ٩٣- ٩٤.

وجاء في الحديث النبوي الشريف:

«إن الله يقول يوم القيامة: أين المتحابون بجلالي؟ اليوم أظلهم في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي»[109]

إن مكافأة الحب في الله ورعاية حق الأخوة سوف يظهر جلياً في أرض المحشر يوم القيامة. وقد ورد في حديث آخر عن النبي عليه الصلاة والسلام أن أحد السبعة الذين يظلهم الله في ظل عرشه يوم القيامة يوم لا ظل إلا ظله هم الإخوة المتحابون في الله.[110]

وإن علامة صدق هذه الأخوة هي الفرح لفرح الأخ، والحزن لحزنه والوقوف معه في الملمات، والتضحية لأجله، وإيثاره على نفسه، وطلب الخير له كما يطلب لنفسه.

وكذلك روي عن رسول الله ﷺ:

«أن رجلا زار أخا له في قرية أخرى، فأرصد الله له، على مدرجته، ملكا فلما أتى عليه، قال: أين تريد؟ قال: أريد أخا لي في هذه القرية، قال: هل لك عليه من نعمة

109 مسلم، البر، ٣٧/ ٢٥٦٦.

110 انظر: البخاري، الأذان، ٣٦.



تربها؟ قال: لا، غير أني أحببته في الله ﷻ، قال: فإني رسول الله إليك، بأن الله قد أحبك كما أحببته فيه» [111]

إن روابط الأخوة التي يتم تأسيسها في مجالس الصحبة تقوى وتتعزز أكثر عبر المحبة والاحترام المتبادل بين الإخوان. فقد قال الإمام علي رضي الله عنه:

«المحبة تقوى بالاحترام».

ويقول الشيخ خادمي رحمه الله وهو من كبار شيوخ النقشبندية:

«احرص على حقوق من أحببته وآخيته في الله، وأحسن إليه، وعامله بالحسنى! أنفق على أخيك مما يزيد عن حاجتك من مالك، أو قاسمه ما بين يديك! وآثر أخاك على نفسك رغم حاجتك!

استر عيوب أخيك في حضوره وغيبته! وإن رأيت ما يسؤه فالزم الصمت!

أحبب أخاك وأبناءه، وذويه، واذكرهم بمحاسنهم!

اصفح عن أخيك إن أساء إليك، واعفُ عنه، وتجاوز عن إساءته! ولا تتخلى عنه لعيوب صغيرة تراها منه!

111 مسلم، البر، ٣٨/ ٢٥٦٧؛ أحمد، مسند، ٢، ٢٩٢/ ٩٢٩١.



فأخوك إن أخطأ مرة وأساء فإنه لا يدوم عليه، وإنما سيعود إلى رشده ويصحح مساره.

ادعُ لأخيك حياً وميتاً! ادع له كما تدعو لنفسك! فدعاؤك إنما لنفسك، ونفعه لك أكثر من أخيك.

كن على محبة أخيك، وأبنائه وأصحابه حتى الموت وإلى ما بعد الموت! فالمحبة أمر أخروي. فإذا ما انقطعت المحبة قبل الموت ذهبت كل ما قبله من جهود وأعمال هباء منثوراً.

لا تسأل أخاك ما لا يطيقه! واجعل حبه لله! كن أخاه وصاحِبه لوجه الله!».

ج. اجتناب كل ما يضر بالأخوة

إن هذه الدنيا مخلوقة لأجل الإنسان، فلو لم يكن الإنسان لما كانت هذه الدنيا. وكل شيءٍ في الكون موضوع في خدمة الإنسان. يقول الله ﷻ:

﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً...﴾ [١١٢]

١١٢ لقمان: ٢٠.



إذاً؛ إن للمؤمنين أهمية كبيرة ومتميزة عند الله ﷻ. فيريد الله تعالى من المؤمنين أن يكونوا قدوةً للإنسانية بتأسيس رابطة من الأخوة، ويقدموا لهم الوجه المشرق للإسلام. ويحظر عليهم كل أشكال السلوك والخصال والأفعال التي من شأنها الإضرار برابطة الأخوة هذه، وذلك مثل: الغيبة، والنميمة، والحقد والبغضاء، والحسد. إذ إن تصرفاً أو سلوكاً من هذا الصنف كاف لتشويه صورة نموذج الأخوة الذي وضع أسسه ومبادئه الروحانية الله ورسوله. والحال أن المسلم مكلف ومسؤول عن تطبيق ذلك النموذج في حياته ونشره بين الناس.

والله سبحانه وتعالى يقدم لنا في كتابه الكريم جملة من الإرشادات للمحافظة على الأخوة الدينية والحيلولة دون تمزق وشائجها. إذ يقول:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَومٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [١١٣]

١١٣ الحجرات: ١١.



﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ﴾ [١١٤]

﴿وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ﴾ [١١٥]

فما ينبغي للمسلم أن يفضح أخاه المسلم ويكشف عيوبه للناس، ولا أن يذكِّره بذنب قد اقترفه في الماضي ثم تاب منه، ويشهر به في المجتمع، ويجعله وسيلة للنيل منه. فالإنسان إذا لم يستر عيباً ظهر من أخيه، وتدخل في شؤونه ونبش في ماضيه وفضحه أمام الملأ، فإنه يعرِّض نفسه للوقوع في الخطر ذاته.

فمن أهم حقوق الأخوة التي ينبغي مراعاتها هو عدم الخوض في مناقشات وجدالات عقيمة لا طائل منها.

فقد قال النبي ﷺ في الحديث الشريف:

«**ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل**» [١١٦]

---

١١٤ الحجرات: ١٢.

١١٥ الهمزة: ١.

١١٦ الترمذي، التفسير، ٤٣/ ٣٢٥٣؛ ابن ماجه، المقدمة، ٧.



وقال أيضاً: «**كفى بك إثماً أن لا تزال مخاصماً**»[117]

وكذلك فقد نهى النبي ﷺ عن أن يطول الهجر الذي يحدث بين أخوين مسلمين نتيجة لسوء تفاهم أو خصام أكثر من ثلاثة أيام، وبيَّن أن خيرهما وأكثرهما أجراً وثواباً من يبدأ أخاه بالصلح والسلام، وذلك لحث المتخاصمين على نبذ الخصومة والعودة إلى الصلح والوئام.[118]

ومن أهم الأعمال الصالحة في ميدان تعزيز رابطة الأخوة وإنقاذها من حال الضعف والوهن التي قد تتعرض لها هو الإصلاح بين المتخاصمين، والتقريب بين المتباغضين، وحث المعتدي والظالم على رفع الظلم وإعادة الحق والاعتذار، وحث المظلوم على الصبر والعفو. فقد قال النبي ﷺ لأبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه:

«**يا أبا أيوب، ألا أدلك على صدقة يرضي الله ورسوله موضعها؟**» قال: بلى. قال: «**تصلح بين الناس إذا تفاسدوا، وتقرب بينهم إذا تباعدوا**»[119]

---

١١٧ الترمذي، البر، ٥٨/ ١٩٩٤.

١١٨ انظر: مسلم، البر، ٣٦؛ أبو داوود، الأدب، ٤٧/ ٤٩١٠-٤٩١٦.

١١٩ البيهقي، الشعب، ٧، ٤٩٠؛ الهيثمي، ٨، ٨٠.



ينبغي لجميع المسلمين الذين يستظلون تحت مظلة الأخوة الإسلامية العامة، والمؤمنين الذين يلتقون برابطة أخوة الصحبة الخاصة الالتزام فيما بينهم بحسن السلوك والتصرف فيما بينهم، ونشر الوئام والمودة، ونبذ الفرقة والخصام، وستر العيوب، والعفو عن الأخطاء والزلات. وعليهم السعي والتوسل بشتى الوسائل للإصلاح بين الإخوة وإزالة ما بينهم من الخصومة والبغضاء.

د. المداومة على مجالس الصحبة

يقول رسول الله ﷺ:

«**أحب الأعمال إلى الله تعالى أدومها، وإن قل**» [١٢٠]

وعن علقمة رضي الله عنه، قال: سألت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، قال: قلت: يا أم المؤمنين كيف كان عمل رسول الله ﷺ؟ هل كان يخص شيئا من الأيام؟ قالت:

«لا، كان عمله ديمة، وأيكم يستطيع ما كان رسول الله ﷺ يستطيع» [١٢١]

---

١٢٠ مسلم، المسافرين، ٢١٨/ ٧٨٣.

١٢١ البخاري، الصوم، ٦٤؛ مسلم، المسافرين، ٢١٧/ ٧٨٣.



وكان والدي موسى أفندي رحمه الله يوصي أبناءه بالأمور الآتية:

١. القيام بالأوراد والأذكار بقلب متجه إلى الله تعالى، وضمن الآداب التي يبينها المرشد.

٢. المداومة على مجالس المرشد أو الإخوان.

٣. خدمة المؤمنين وحتى جميع المخلوقات كلما أتيحت الفرصة، وبحدود الاستطاعة.

٤. المحافظة على الحالة التي يصل إليها الإنسان، والعمل على إخراج حب الدنيا من القلب، ومخالفة رغبات النفس وأهوائها، والارتقاء بالمستوى الأخلاقي.

إن سلوك طريق التصوف بهمة ودقة وإخلاص يحسن أخلاق السالك، وتتجلى فيه الخصال الطيبة والمحمودة. إلا أن ذلك لا يتحصل إلا بالقيام بالأوراد بقلب صافٍ، والمداومة على المجالس المعنوية بانتظام.

هـ. مراعاة الوقت

يشير الحق ﷻ في سورة العصر أن الخسران هو عاقبة الذين لا يحسنون استغلال الوقت وإدارته. وقد علَّمَ الله سبحانه وتعالى عباده مراعاة الوقت من خلال

جملة من العبادات، مثل: الصلاة، والصيام، والحج. لهذا فقد أبدى أهل الله وأولياؤه اهتماماً وعناية فائقة بالوقت. وقد جعلوا حصر الوقت وتخصيصه للأشياء المفيدة والنافعة، واستخدامه بتوازن، وعدم هدره أسساً مهمة في حياتهم.

فعلى المؤمن الصالح الحذر من الغفلة والتخلص من هواجس المستقبل، والانشغال باستغلال اللحظة القائمة. وبعبارة أخرى ينبغي أن يكون «ابن الوقت/ اللحظة»، أي أن يكون المؤمن الذي يحرص على عمره ويعقل أهميته وقيمته وبخاصة الوقت الذي هو فيه، ويستغله خير استغلال للاستعداد للآخرة.

وإن الوقوف الزماني والذي يُعد أحد أهم أسس التربية الصوفية تعبير عن ضرورة استخدام نعمة الوقت بدقة. فوفقاً لهذا الأساس يجب على المؤمن الذي يريد تزكية نفسه وتصفية قلبه أن يدرك ويعلم جيداً نظراً لجهالة أجله أنه مضطر ومجبر على محاسبة نفسه ومراجعتها في كل لحظة من لحظات عمره، ثم يستغل وقته بالأعمال الصالحة خير استغلال.



ويعد الحضور إلى مجالس الصحبة وإنهاؤها والانصراف منها في الوقت المحدد من الأمور المهمة. فكما أن وضع الإخوان في حال انتظار بالتأخر عن المجلس، والدخول إليه في منتصف الوقت والتسبب بالضوضاء وكسر حال السكينة، يُعد إسرافاً في الوقت، فإنه في الوقت ذاته اعتداء على حق من حقوق العبد.

٣- آداب مجلس الصحبة

كان والدي المرحوم موسى أفندي رحمه الله يصر ويلح على ضرورة الالتزام بآدام مجلس الصحبة ومبادئه لنيل فيوضه وبركاته وروحانيته، وكان يقول:

«ليس في مجالس الصحبة التي تعقد لنيل رضا الله تعالى مكان للكلام الجانبي والفضولي. فهذه المجالس موائد معنوية تتنزل عليها الفيوض الإلهية. فإذا تم الدخول إلى هذه المائدة والخروج منها بآدابها تحصلت الفائدة المرجوة. ولا يُسمح فيها بالكلام الدنيوي. فتتم في هذه المجالس تلاوة الآيات القرآنية، وقراءة الأحاديث النبوية، والحديث عن مناقب الصحابة الكرام والأولياء الصالحين ونصائحهم ووصاياهم وأحوالهم.

وإذا كان في المجلس شخص حسن التلاوة فيبدأ بتلاوة عشر آيات كريمة.

إذا أصغى الحاضر في هذه المجالس بقلبه فإنه يصير صاحب الحال والقال على حد سواء. وإنه يتقدم في طريق العلوم والمعرفة مراحل كثيرة دون أن يخط سطراً، ولا يستعمل محبراً ولا قلماً. فالمعلومات التي لا تنفذ إلى القلب تبقى حبيسة أسطر الكتاب والدفتر، وأما المجالس التي تنعقد بخشوع ووقار وروحانية فإنها تنقش المعلومات في القلوب والذاكرة. وينال الحاضرون في نهاية هذه المجالس نصيباً من العرفان، ولكنهم لا يعرفون المستوى الذي وصلوا إليه، لهذا فإنهم لا يدعون العلم.

يجب البدء بالمجالس في موعدها، والانتهاء في موعدها المحدد. وليس من الصواب الإطالة دون حاجة. وعلى من يحضر المجلس الامتناع عن الكلام بعد الدخول وإلقاء تحية «السلام عليكم». وليس في المجلس مكان للتحدث عن الشؤون الدنيوية أبداً، كالسؤال عن حال الأهل والعمل والأبناء، وإنما ينتظر الحاضرون جميعهم الدرس بخشوع تام مهما كان عددهم.



ويجب الحضور إلى المجلس في موعده، فلا يُفتح الباب لمن تأخر عن الحضور في الموعد المحدد، وينبغي الالتزام بمثل هذا النظام حتى نرتقي معنوياً. وأما من لا يهتم بهذا الأمر ولا يلتزم به يصبح حضوره وانصرافه مجرد عادة لا أكثر دون تحقيق أي ارتقاء معنوي.

وبعد انتهاء المجلس ينصرف الجميع بذات الخشوع والوقار الذي ساد في الصحبة والاكتفاء بقول «السلام عليكم» دون الخوض في الأحاديث الدنيوية، وحتى دون السؤال عن الشؤون والأحوال.

إذا بقيت الحال التي حصلنا عليها من مجالس الصحبة حتى الصحبة اللاحقة وحققنا درجة من الترقي حينها نكون قد استفدنا من الصحبة. وإذا كنا نريد تحصيل الفائدة من مجالس الصحبة فلا بد لنا من مراعاة هذه الآداب. إذ إن في الناس الكثير ممن لا يكترث لهذا الأمر، وسريعاً ما يفقدون الفيوض والطمأنينة التي نالوها؛ أي يعودون من مجالس الصحبة خاليي الوفاض.

إن للمجالس التي تنعقد مع مراعاة آدابها والالتزام بها لذة ومتعة متميزة لا توصف. فالحاضرون في هذه



المجالس يغوصون في بحار الطمأنينة والسكينة، لا سيما إذا كان الواعظ فيها أهلاً لها، فعندها تظهر بفضل الله تجليات لا حصر لها بين الحاضرين مثل المحبة، والاحترام، والصدق، والإخلاص. فكلما زادت نسبة مراعاة الآداب زاد الحق سبحانه وتعالى من فيوضه ورحماته. فنسأل الله سبحانه وتعالى أن يلهمنا الرأي السديد، ويجعلنا من أهل الحكمة والفراسة! آمين!».

وإضافة إلى هذه الآداب ينبغي أن يحرص من يحضر مجالس الصحبة على الوضوء، فلا يأتي إلا متوضأً، وكذلك الاهتمام بالنظافة الداخلية والخارجية، وبحسن الهيئة والهندام، والالتزام بالأدب والحياء، والاحترام، واللطف في القيام والقعود والكلام. إذ إن مراعاة هذه الآداب وأمثالها وسيلة لزيادة الفائدة المعنوية.

وكذلك يجب تجنب الانشغال بالأحاديث والأسئلة الثانوية وغير المجدية في مجالس الصحبة، ومحاولة تحصيل أكبر فائدة منها. والانشغال في فترة انتظار الوعظ بالتفكر والذكر.



وينبغي أن تبدأ الصحبة بتلاوة عشر آيات من القرآن الكريم. ثم يُفتتح الوعظ بقراءة الفاتحة وسورة الإخلاص ثلاث مرات بنية إهدائها لروح النبي عليه الصلاة والسلام، وآل بيته والصحابة الكرام. ويجب أن يكون الوعظ لمدة تتراوح بين ٤٠ – ٤٥ دقيقة.

وبعد انتهاء الصحبة يتم تقديم ضيافة من غير تكليف، فهي وإن لم تكن شرطاً إلا أنها لفتة جميلة. فالنبي عليه الصلاة والسلام عندما جمع أقرباءه من أجل دعوتهم إلى الإسلام أول مرة قدم لهم ضيافة.

إلا أن هذه الضيافة يجب أن تكون حسب قدرة كل إنسان، وأن لا تتحول إلى مباهاة، ورياء، ووسيلة لإظهار الثروة.

فأهل الحكمة والمعرفة قالوا: «الجود من الموجود». فعلى الإنسان أن يكرم أخاه مما أكرمه الله به، فأحياناً يكفي تقديم كأس من الشاي.







أثر مجالس الصحبة
على حياتنا

إن أكثر الناس في هذه الأيام مثل أغصان أشجار تجرفها السيول يسيرون في اتجاهات خاطئة منحرفة بحالة مريبة ومريعة من الغفلة وانعدام المسؤولية فيتيهون في مجاهيل الظلام. فإذا لم نستطع أن ننقذهم فإن الآخرين سيقودونهم حيث شاؤوا، فالطبيعة لا تقبل الفراغ.

أثر مجالس الصحبة على حياتنا

١ - تحري الإخوة والسؤال عنهم

إن مجالس الصحبة تؤدي إلى تلاحم القلوب مع بعضها بمحبة وروحانية منقطعة النظير، وتؤدي إلى رفع مستوى الأخوة الإسلامية بين أفراد المجتمع. وهي من هذا الجانب تُعد أفضل وسيلة لتجسيد حق الأخوة وجعله أكثر حيوية.

وبناء على ذلك فإن الذين يتمكنون من تمتين وشائج الأخوة الإسلامية وتقويتها ببركة الصحبة يصبحون أكثر شعوراً ببعضهم ولا يغفلون عن بعضهم أبداً. وإذا ما غاب عنهم أحد من الإخوان مدة فإنهم يسارعون إلى البحث عنه والتحري عن أخباره.

وقد كان الصحابة الكرام يبدون اهتماماً كبيراً بمسألة التحري عن إخوانهم، والسؤال عن أحوالهم، والتزاور فيما بينهم.



فقد قال عبد الله بن مسعود ﵁ لأصحابه حين قدموا عليه يزورونه:

«هل تجالَسون؟ قالوا: ليس نترك ذاك. قال: فهل تَزَاورون؟ قالوا: نعم يا أبا عبد الرحمن، إن الرجل منا ليفقد أخاه، فيمشي في طلبه إلى أقصى الكوفة، حتى يلقاه. فقال ابن مسعود: فإنكم لن تزالوا بخير ما فعلتم ذلك»[١٢٢]

وقد خرج سلمان الفارسي ﵁ من المدينة إلى الشام سيراً على الأقدام من أجل زيارة أخيه أبي الدرداء ﵁، وذلك لإدراكه أهمية هذا الأمر وأثره الكبير في حياة المسلمين.[١٢٣]

إن الدين الإسلامي يأمر بالوحدة والترابط الاجتماعي. وأفضل سبيل لتنفيذ هذا الأمر الإلهي هو تحري المؤمن أخبار أخيه المؤمن والسؤال عن أحواله، وأداء العبادات، والقيام بالخدمات والأعمال الصالحة معاً.

---

١٢٢ الدارمي، المقدمة، ٥١.

١٢٣ انظر: البخاري، الأدب المفرد، ص، ١٢٧، رقم: ٣٤٦.



٢- الفرح لفرح الإخوة والحزن لحزنهم

على المسلم الوقوف إلى جانب إخوانه في أيام الفرح، ومشاركتهم مناسباتهم السارة، وتقديم واجب المباركة لهم. إذ إن من شأن هذا السلوك تعزيز مشاعر الأخوة وتقويتها.

فقد كان النبي عليه الصلاة والسلام يرغب كثيراً باجتماع المسلمين وتلاحمهم وتعاضدهم، ويسعى إلى ذلك بشتى الوسائل. ومن ذلك مثلاً أنه كان يحرص على استجابة الدعوة إلى الولائم، ويحث أصحابه على الاستجابة، فيقول:

«إذا دُعي أحدكم إلى الوليمة فليأتها»[١٢٤]

«إذا دعي أحدكم، فليجب، فإن كان صائما، فليصل، وإن كان مفطرا، فليطعم»[١٢٥]

وبين النبي ﷺ أن من يمتنع عن إجابة دعوة الوليمة كأنما عصى الله ورسوله ﷺ.[١٢٦]

---

١٢٤ البخاري، النكاح، ٧١/ ٥١٧٣.

١٢٥ مسلم، النكاح، ١٠٦/ ١٤٣١.

١٢٦ انظر: البخاري، النكاح، ٧٢/ ٥١٧٧.



وقد كان عبد الله بن عمر رضي الله عنهما المعروف بحرصه الشديد على اتباع سنن النبي ﷺ يلبي دعوة ولائم الأعراس وغيرها من الدعوات حتى وإن كان صائماً.[127]

ومن الوسائل أو التصرفات التي من شأنها تقوية مشاعر المحبة بين الإخوة المسلمين هي تقديم الهدايا في مختلف المناسبات، مثل: ولادة مولود جديد، أو شراء منزل، أو افتتاح مكان عمل، أو الأعياد والمناسبات الدينية الأخرى وغيرها.

وإلى جانب ذلك يجب الوقوف إلى جانب إخواننا في الأتراح والأحزان، وعدم التخلي عنهم وتركهم وحيدين فيها. فأحد الديون المتعلقة بذمتنا تجاه إخواننا في الدين هو تقديم المساعدة لهم إذا تعرضوا لمصيبة، أو لفقد أحد ذويهم، أو لتراكم الدَّين عليهم نتيجة لصعوبة ظروف الحياة، فإن لم يكن العون المادي ممكناً فينبغي على الأقل مواساتهم والشد من عضدهم معنوياً.

يقول الحق سبحانه وتعالى:

﴿... وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[128]

---

١٢٧ انظر: البخاري، النكاح، ٧٤/ ٥١٧٩.
١٢٨ الحجر: ٨٨.



فالله عز وجل في هذه الآية الكريمة ومن خلال النبي ﷺ يأمر جميع المسلمين بالاهتمام بهموم المؤمنين والوقوف بجانبهم في أحزانهم. وجاء في الحديث النبوي الشريف:

«المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرَّج عن مسلم كربة، فرَّج الله عنه كربة من كربات يوم القيامة، ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة»[١٢٩]

«ليس بالمؤمن الذي يبيت شبعاناً وجاره جائع إلى جنبه».[١٣٠]

وورد عن عيسى بن مريم عليه السلام أنه قال:

«...ولا تنظروا في ذنوب الناس كأنكم أرباب، وانظروا في ذنوبكم كأنكم عبيد. فإنما الناس مبتلى ومعافى، فارحموا أهل البلاء، واحمدوا الله على العافية»[١٣١]

---

١٢٩ البخاري، المظالم، ٣/ ٢٤٤٢؛ مسلم، البر، ٥٨.

١٣٠ الحاكم، المستدرك، ٢، ١٥/ ٢١٦٦؛ الهيثمي، ٨، ١٦٧؛ البخاري، الأدب المفرد، رقم: ١١٢.

١٣١ الموطأ، الكلام، ٨؛ ابن أبي شيبة، المصنف، ٦، ٣٤٠/ ٣١٨٧٩.



وكان أبو بكر الصديق ﵁ قبل الخلافة يحلب شياهاً لجواري يتيمات، ويقوم بشؤونهن. ولما تولى الخلافة جزعت الجواري خشية أن يكف الخليفة عن خدمتهن. إلا أن الأمر لم يتغير، فالخلافة لم تشغل أبا بكر عن حلب شياههن والقيام بخدمتهن، بل استمر على ما كان عليه قبلها من عمل.[132]

وحدث في عهد عمر بن الخطاب ﵁ قحط شديد، ومجاعة كبيرة، حتى أُطلق على ذلك العام عام الرمادة. فكان عمر ﵁ في تلك الأيام يقضي كل وقته وهو يسعى في خدمة الناس وتقديم المساعدة لهم ناسياً نفسه حارماً إياها من الطعام والشراب إلا اليسير منه. ولم يرضَ التوسيع على نفسه وأهل بيته والناس جياع محتاجون من حوله مع أن كل أموال الدولة وإمكاناتها تحت تصرفه ورهن إشارته. وكان يستحي الركوب والناس مشاة، وتنهمر الدموع من عينيه إذا ما رأى سوء أحوال الناس من حوله. وكان يحمل المؤن على ظهره ويوزعها على الناس، ويعجن العجين ويطهو الطعام بيده، ويسعى

١٣٢ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص، ٨٠.



في خدمة الأرامل واليتامى وكل من لا معين له، ويهرع إلى خدمة القبائل التي تفد من البوادي إلى المدينة. وكان يزور المرضى، ويعمل على تأمين الأكفان للموتى، ويصلي على الجنائز بنفسه. وكان إلى جانب سعيه في خدمة الناس والتخفيف من آلامهم وآثار المجاعة عليهم يصلي ويتضرع إلى الله تعالى سائلاً الفرج للأمة، حتى فُرِّج عن الناس.[١٣٣]

وكان الناس في تلك الأيام يقولون:

«لو لم يرفع الله المحل عام الرمادة لظننا أن عمر يموت هماً بأمر المسلمين!»[١٣٤]

وإليكم مثال آخر عن الأخوة الدينية التي نمت وترسخت في قلب المؤمن الذي نضج وكمل بصحبة رسول الله ﷺ:

روي عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما وهو يتحدث عن أبيه:

«قام عمر بن الخطاب رضي الله عنه عام الرمادة – وكانت سنة شديدة ملمة، بعدما اجتهد عمر في إمداد الأعراب بالإبل

١٣٣ انظر: ابن سعد، ٣/ ٣١٠- ٣٢٤.

١٣٤ ابن سعد، ٣/ ٣١٥.



والقمح والزيت من الأرياف كلها، حتى بلحت الأرياف كلها مما جهدها ذلك - قام يدعو فقال:

اللهم اجعل رزقهم على رؤوس الجبال، فاستجاب الله له وللمسلمين! فقال حين استجاب الله دعاءه ونزل به الغيث:

الحمد لله، فوالله لو أن الله لم يفرجها ما تركت بأهل بيت من المسلمين لهم سعة إلا أدخلت معهم أعدادهم من الفقراء، فلم يكن اثنان يهلكان من الطعام على ما يقيم واحداً»[١٣٥]

وعلى المؤمن كذلك أن يسعى ويبذل جهده للقيام بخدمة المرضى الذين لا معين لهم من إخوانه المسلمين. وهناك أمثلة على هذا من مواقف الصحابة الكرام، ومن ذلك:

فقد روي أن عمر بن الخطاب ﵁ خرج في سواد الليل فرآه طلحة فتتبعه. فذهب عمر فدخل بيتاً ثم خرج منه ودخل بيتاً آخر. فلما أصبح طلحة ذهب إلى ذلك البيت فإذا بعجوز عمياء مقعدة، فقال لها:

١٣٥ البخاري، الأدب المفرد، رقم: ٥٦٢.



ما بال هذا الرجل يأتيك؟

قالت العجوز: إنه يتعاهدني منذ كذا وكذا، يأتيني بما يصلحني، ويُخرج عني الأذى.

فقال طلحة في نفسه:

ثكلتك أمك يا طلحة أعَثرات عمر تتبع؟.[١٣٦]

وترينا الحادثة التي ينقلها لنا سري السقطي رحمه الله وهو من كبار أولياء الله معنى الأخوة الدينية وكيف يجب أن تكون بين المؤمنين. إذ قال:

«حمدت الله مرة، فأنا أستغفر الله منذ ثلاثين سنة! فقيل له: وكيف ذلك؟ فقال: كان لي دكان فيه متاع، فوقع الحريق في سوقنا، فقيل لي، فخرجت أتعرف خبر دكاني. فلقيت رجلاً، فقال: أبشِر فإن دكانك قد سلم. فقلت: الحمد لله، ثم إني فكرت فرأيتها خطيئة. فأنا أستغفر الله من ذلك الحمد منذ ثلاثين سنة» [١٣٧]

---

١٣٦ أبو نعيم، الحلية، ١، ٤٨.

١٣٧ الخطيب، التاريخ، ٩، ١٨٨؛ ابن خلكان، وفيات، ٢، ٣٥٧؛ الذهبي، السير، ١٢، ١٨٥، ١٨٦.



٣- التعاضد والتعاون

علينا أن نعلم أن تلبية المسلم لحاجة أخيه المسلم والسعي في خدمته يُعد في الكثير من الأحيان أفضل من عبادات النافلة. فقد قال رسول الله ﷺ:

«من مشى في حاجة أخيه المسلم أظله الله بخمسة وسبعين ألف ملك يدعون له، ولم يزل يخوض في الرحمة حتى يفرغ، فإذا فرغ كتب الله له حجة وعمرة...»[١٣٨]

وجاء رجل إلى النبي ﷺ فقال:

يا رسول الله، أي الناس أحب إلى الله، وأي الأعمال أحب إلى الله؟

فقال رسول الله ﷺ:

«أحب الناس إلى الله ﷺ أنفعهم للناس، وأحب الأعمال إلى الله سرور تدخله على مسلم، أو تكشف عنه كربة، أو تقضي عنه دينا، أو تطرد عنه جوعا، ولأن أمشي مع أخ لي في حاجة أحب إلي من أن أعتكف في هذا المسجد شهرا في مسجد المدينة، ومن كف غضبه ستر الله عورته، ومن كظم غضبه ولو شاء أن يمضيه أمضاه،

١٣٨ الهيثمي، مجمع الزوائد، جـ ٢، ٢٩٩/ ٣٧٨٢.



ملأ الله قلبه رخاء يوم القيامة، ومن مشى مع أخيه في حاجة حتى تتهيأ له ثبت الله قدمه يوم تزول الأقدام»[١٣٩]

وكذلك سئل رسول الله ﷺ: أي الصدقة أفضل؟

فقال ﷺ:

«**أفضل الصدقات ظل فسطاط في سبيل الله، ومنيحة خادم في سبيل الله، أو طروقة فحل في سبيل الله»**[١٤٠]

لقد دل رسول الله بنفسه وبالتطبيق العملي كيف تكون التضحية التي تفرضها الأخوة الإسلامية، إذ كان في أشد لحظات المعارك خطراً وخوفاً وهلعاً يتقدم أمام جيش المسلمين، ويحتمي الجميع خلفه. وكان أثناء العودة من الغزوات والأسفار يسير خلف الجميع، فيساعد الضعفاء والمرضى والمحتاجين. فقد روي عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أنه قال:

«كان رسول الله ﷺ يتخلف في المسير فيُزجي الضعيف، ويُردف ويدعو لهم»[١٤١]

---

١٣٩ الهيثمي، مجمع الزوائد، جـ٨، ١٩١/ ١٣٧٠٨.

١٤٠ الترمذي، الجهاد، ٥/ ١٦٢٧؛ أحمد، مسند، ٢٦٩.

١٤١ أبو داوود، الجهاد، ٩٤/ ٢٦٣٩.



وعن أبي سعيد الخدري ﷺ، قال:

بينما نحن في سفر مع النبي ﷺ إذ جاء رجل على راحلة له، فجعل يصرف بصره يميناً وشمالاً. فقال رسول الله ﷺ:

«من كان معه فضل ظهر، فليعد به على من لا ظهر له، ومن كان له فضل من زاد، فليعد به على من لا زاد له».

فذكر من أصناف المال ما ذكر حتى رأينا أنه لا حق لأحد منا في فضل.[١٤٢]

وقد بشر رسول الله ﷺ الذين يسعون في خدمة إخوانهم المؤمنين بشعور العبادة، فقال:

«إن لله خلقاً خلقهم لحوائج الناس، تفزع الناس إليهم في حوائجهم، أولئك الآمنون من عذاب الله»[١٤٣]

وعلى المسلم أن لا ينسى الدعاء لإخوانه المؤمنين وخاصة في الأسحار، وطلب الخير لهم دائماً. فإن استمر على هذا الأمر دعت له الملائكة بالمثل.

١٤٢ مسلم، اللقطة، ١٨/ ١٧٢٨؛ أبو داود، الزكاة، ٣٢.

١٤٣ الهيثمي، مجمع الزوائد، جـ ٨، ١٩٢/ ١٣٧١٠.



٤– حث بعضهم على التقوى

إن من الخصال الجميلة التي تشكل أسس الأخوة الإسلامية تعاون المؤمنين فيما بينهم، وتسابقهم في الخيرات. يقول الحق سبحانه وتعالى:

﴿... وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ...﴾[١٤٤]

علينا كمؤمنين السعي إلى الخيرات لأنفسنا من جهة، ومساعدة إخواننا للتقدم في عمل الخير وإرشادهم إلى الطريق السليم من جهة أخرى تاركين مشاعر الحسد والبغض والحقد وراء ظهورنا.

يقول تبارك وتعالى:

﴿... فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ...﴾[١٤٥]

﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾[١٤٦]

---

١٤٤ المائدة: ٢.

١٤٥ البقرة: ١٤٨.

١٤٦ آل عمران: ١٣٣.



ويقول رسول الله ﷺ:

«إن من الناس مفاتيح للخير، مغاليق للشر، وإن من الناس مفاتيح للشر مغاليق للخير، فطوبى لمن جعل الله مفاتيح الخير على يديه، وويل لمن جعل الله مفاتيح الشر على يديه» [147]

ومن جهة أخرى على المؤمنين حث بعضهم على الأدب والأخلاق الحميدة. وإذا رأى المؤمن من أخيه المؤمن خطأً أو ذنباً فعليه نصحه بأسلوب لين وبلسان لطيف بعيداً عن التشنيع والفضح ليكون عوناً له على تصحيح خطأه والعودة إلى الطريق السليم.

يقول الإمام الشافعي رحمه الله تعالى:

«من وعظ أخاه سراً فقد نصحه وزانه، ومن وعظه علانية فقد فضحه وشانه».

إذا رأى المؤمن أخاه المؤمن متلبساً بذنب أو وجده في أماكن تشيع فيها المعاصي، فعليه بذل جهده لثنيه عن الذنب وانتشاله من بوتقة المعاصي التي سقط فيها، ولا يدعه يغرق فيها أكثر. إذ إن الإنسان بحاجة

١٤٧ ابن ماجه، المقدمة، ١٩/ ٢٣٧.



إلى العون والمساعدة أكثر عندما يكون في مثل تلك الأماكن.

وخير مثال على ذلك ما يرويه يزيد بن الأصم:

كان رجل من أهل الشام ذو بأس، وكان يفد إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه لبأسه. ففقده عمر فسأل عنه فقال: ما فعل فلان بن فلان؟. فقالوا له: يا أمير المؤمنين! يتابع في هذا الشراب. فدعا عمر رضي الله عنه كاتبه، فقال: اكتب:

من عمر بن الخطاب إلى فلان ابن فلان، سلام عليك، أما بعد: فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، ﴿**غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ**﴾.[١٤٨] ثم قال لأصحابه:

ادعوا الله لأخيكم أن يُقبل بقلبه، وأن يتوب الله عليه، ثم دعا وأمّن من عنده.

فلما بلغ الرجل كتاب عمر جعل يقرؤه ويردده، ويقول: «غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب»، قد حذرني الله عقوبته ووعدني أن يغفر لي. فلم يزل يرددها على نفسه، ثم بكى، ثم نزع فأحسن النزع. فلما بلغ عمر

١٤٨ غافر: ٣.

ﷺ خبره قال: هكذا فاصنعوا، إذا رأيتم أخاكم زلَّ زلة فسددوه ووفقوه، وادعوا الله له أن يتوب عليه، ولا تكونوا أعواناً للشيطان عليه.[149]

ويقول أبو ذر ﷺ:

«إذا فسد حال أخيك فعظه وأته من حيث يحب».

إن من شأن عدم قطع الصلة بأخينا الذي انحرف عن جادة الصواب واقترف معصية، وجلبه إلى مجالس الصحبة أن يزيد من احتمال إصلاحه وعودته إلى الرشد والصواب. وإن من شأن قطع الصلة به وهجره أن يزيد من احتمال إصراره على المعصية والانحراف أكثر نحو الذنوب والمعاصي. ونكون في هذه الحال قد تنكبنا عن القيام بواجب الأخوة الملقاة على عاتقنا بوصفنا مؤمنين.

عندما يفتقر أحد إخوتنا ويقع في ضيق مادي فإننا نسارع إلى مساعدته وتقديم يد العون له لرفعه مما هو فيه. فكيف إن افتقر معنوياً، إذ إن الفقر المعنوي أشد من الفقر المادي الدنيوي وأكثر خطورة ووبالاً، فهو خسران أبدي. أي إن الأخ الذي يقترف المعاصي، ويسقط

149 ابن كثير، التفسير، ٤، ٧٦؛ أبو نعيم، حلية الأولياء، ٤، ٩٧- ٩٨.



ضحية الفقر المعنوي أو ينحرف عن سبيل الله تعالى هو المحتاج والفقير الحقيقي إلى مساعدتنا وعوننا. وواجب المؤمن في هذه الحال هو تقديم النصح لأخيه بأسلوب رقيق لين، وتخليصه من الخطر المحدق به.

والأخبار التالية خير شرح وبيان لما نتحدث عنه:

رُوِيَ أنه كان هناك صاحبان، فانحرف أحدهما وزلت به القدم إلى المعاصي. فقال الناس لصاحبه الآخر: ألا تزال على صحبته وقد تلبس بالمعاصي، أفلا فارقته؟

فقال لهم: لا؛ بل إن حاجة أخي إلي أكثر من أي وقت مضى. إذ ربما لو أخذت بيده، وأحسنت إليه النصح، ودعوت له عاد عن ذنبه وصلح حاله. فحق الأخوة يفرض الأخذ بيده، لا تركه!

مر أبو الدرداء رضي الله عنه على رجل قد أصاب ذنباً، فكانوا يسبونه. فقال لهم: أرأيتم لو وجدتموه في قليب، ألم تكونوا مستخرجيه؟ قالوا: نعم.قال أبو الدرداء: فلا تسبوا أخاكم، واحمدوا الله الذي عافاكم! قالوا: أفلا تبغضه؟ قال: إنما أبغض عمله، فإذا تركه فهو أخي!.[١٥٠]

١٥٠ عبد الرزاق، المصنف، ١١، ١٨٠؛ أبو نعيم، ١، ٢٢٥.



٥- العفو والمسامحة

إن العفو نتيجة طبيعية لحب الله تعالى والتخلق بأخلاقه. فالنظر إلى المخلوقات بعين الخالق يمهد الأرضية اللازمة للعفو. يقول الحق سبحانه وتعالى:

﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [١٥١]

وقال رسول الله ﷺ:

«...**ما زاد الله عبدا بعفو، إلا عزا،...**» - أي ساد وعظم في القلوب وزاد عزه -.[١٥٢]

تعرضت أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها لحادثة افتراء بشعة وهي التي كانت مثال العفة والطهارة والشرف. وكان حسان بن ثابت واحداً ممن خاضوا في هذا الافتراء وروجوا له. إلا أن السيدة عائشة عفت عنه وسامحته لمجرد محبته لرسول الله ﷺ.

يقول عروة بن الزبير رضي الله عنه:

---

١٥١ آل عمران: ١٣٤.

١٥٢ مسلم، البر، ٦٩/ ٢٥٨٨؛ الترمذي، البر، ٨٢.

«ذهبت أسب حسان عند عائشة. فقالت: لا تسبه، فإنه كان ينافح عن رسول الله ﷺ»[١٥٣]

فالسيدة عائشة رضي الله عنها قد عفت حتى عن الذين افتروا عليها واتهموها في عفتها لمجرد محبتهم لرسول الله ﷺ. فأي محبة كبيرة هذه، وأي وفاء عظيم، وأي عفو واسع فريد هذا...

روي عن أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها أنها قالت:

«لما كان يوم أحد هزم المشركون، فصاح إبليس: أي عباد الله أخراكم، فرجعت أولاهم فاجتلدت هي وأخراهم، فنظر حذيفة فإذا هو بأبيه اليمان، فقال: أي عباد الله أبي أبي، فوالله ما احتجزوا حتى قتلوه، فقال: حذيفة غفر الله لكم، قال عروة فما زالت في حذيفة منه بقية خير حتى لحق بالله»[١٥٤]

ولما دفع رسول الله ﷺ دية أبيه، تصدق حذيفة بها على فقراء المسلمين.[١٥٥]

---

١٥٣ البخاري، الأدب، ٩١/ ٤١٤٥.

١٥٤ البخاري، مناقب الأنصار، ٢٢/ ٣٢٩٠/ ٣٨٢٤/ ٤٠٦٥.

١٥٥ أحمد نعيم، ترجمة التجريد الصريح، ٢، ٤٦٨.



إن المؤمن لا يقول عن أخيه في الدين إلا خيراً، لا سيما عندما يحدث بينهما خصام وتباغض، فعليه حينها تجنب الحديث عنه بسوء، والعمل على إصلاح قلبه ومشاعره تجاهه. إذ ما ينبغي أن تدوم الخصومة بين الإخوان طويلاً، فهي لا تكون إلا كسحابة صيف سرعان ما تتلاشى وتختفي لتعود مياه الود والمحبة إلى مجاريها. فقد قال الأولون:

ينبغي أن يكون عفوك عن أخطاء إخوانك غير محدود. فإن قدم اعتذاره فينبغي قبوله والصفح عنه حتى وإن كان أخطأ بحقك سبعين مرة. وإن كان يصعب عليك حمل قلبك على قبول هذا الاعتذار فينبغي أن تقول لنفسك:

ما أقساك من قلب! وما أبعدك عن الإنصاف! إن أخاك يعتذر منك سبعين مرة وأنت ترفض اعتذاره. فيا أسفي عليك!.

يقول عبد الله بن المبارك رحمه الله:

«المؤمن طالب عذر إخوانه، والمنافق طالب عثراتهم».

ويقول الفضيل بن عياض رحمه الله:

«الفتوة العفو عن عثرات الإخوان».

فعلينا الاستمرار بالعفو عن الآخرين ومسامحتهم حتى نستحق عفو الله تعالى عنا. فالحق ﷻ يقول:

﴿... أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ...﴾ [156]

٦- إدراك مسؤولية الدعوة الإسلامية

إن كل مجلس صحبة نحضره ونستمع إلى الوعظ فيه هو في الأصل تذكير لنا بواجبنا في «التواصي بالحق والخير، والتناهي عن المنكر والباطل» الذي يُعد أحد المقتضيات الطبيعية لإيماننا. وإن مدى انتفاعنا من مجالس الصحبة يتحدد بمدى سعينا والجهود التي نبذلها في هذا الجانب.

فإذا استمر أحد الإخوة في حضور مجالس الصحبة ولكن لم يزدد فيه حس التبليغ الذي من المفروض أن يبتدأ به ليمتد إلى ما حوله، فإن الصحبة عنده ليست إلا مجرد لقاء جاف.

١٥٦ النور: ٢٢.

فعلى المؤمن أن يتساءل:

ما مدى مسؤوليتي عن نفسي وعن أهلي وأبنائي؟ وكم أنا مسؤول عن المجتمع الذي أعيش فيه؟ وهل أقدم للناس شخصية مسلم نموذجي؟ وهل أعكس بأحوالي وأفعالي وجه الإسلام المشرق؟

وعليه إمعان التفكير بجيل الصحابة والتساؤل:

كم كان إحساس الصحابة الكرام بهذه المسؤولية؟ ولِمَ تركوا المدينة المنورة ببساتينها الجميلة وخيراتها الوفيرة وانتشروا في أصقاع العالم حتى وصلوا إلى الصين؟ ولِمَ ذهبوا إلى سمرقند؟ ولِمَ خاضوا الصعاب وتحملوا مشاق السفر إلى مناطق المحيط الأطلسي؟

فقد قال عقبة بن نافع لما وصل إلى المحيط الأطلسي وهو يتابع جهاده وفتوحاته في أفريقيا بحماس ويقدم تضحيات جسيمة: «يا رب لولا هذا البحر لمضيت في البلاد مجاهداً في سبيلك»[١٥٧]

كيف تحول تبليغ الدين إلى حماس ديني لديهم؟ أي شعور كان هذا، وأي إدراك؟

---

١٥٧ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، بيروت ١٣٨٥، ٤، ١٠٥ - ١٠٦.



فعلينا أن نتخذ السلف الصالح قدوة لنا وندرك المسؤولية الملقاة على عاتقنا.

إن القلوب الكاملة تبحث دائماً عمن هم بحاجة إلى الفلاح بالتربية والخدمة والرحمة والعطف لبلوغ النجاة في الآخرة. وهي ترى أن كسب كل إنسان وإرشاده إلى طريق الخلاص أجر عظيم، وفقدان كل إنسان وعدم الوصول إليه لهدايته وبال وخسران كبير.

إنه لمشهد حزين جداً أن ترى مياهاً متدفقة تسيل في اتجاه خاطئ لتصب في المجاري بدل أن تصب في أرض زراعية خصبة تفيض بالبركة والخيرات. وهذا هو حال الناس في يومنا هذا، فأكثرهم يسيرون في اتجاهات خاطئة منحرفة مثل هذه المياه وبحالة مريبة ومريعة من الغفلة وانعدام المسؤولية فيتيهون في مجاهيل الظلام.

إذا لم نسرع إلى إنقاذ مجتمعاتنا وإخواننا من هذه التيارات الخاطئة فسوف يتخطفهم الآخرون ليحددوا لهم الاتجاه والشكل والحالة النفسية والروحية التي يشاؤونها. إذ كما أن الطبيعة لا تقبل الفراغ فإن القلوب



بدورها لا تقبل الفراغ أيضاً. فهناك من سيملأها حتماً سواء كان جيداً أم سيئاً. والكأس إن كانت فارغة يقوم الناس بملئها بشيء ما، فمنهم من يملأها بالأسيد، ومنهم بالماء، ومنهم من يملأها بالخمر. ونحن بدورنا إذا ملأنا تلك الكأس بالحياة الأبدية، وبكوثر الجنة، وبزمزم الرحمة فلن يستطيع أحد غيرنا من التدخل وملأها بشيءٍ آخر.

ما يدعو للأسف أن هناك جماهير غفيرة من الناس يتم هدرها في يومنا هذا. إذ يتم تحت تأثير مختلف الوسائل التي يستخدمها أعداء الأمة المعروفين والمجهولين إشاعةُ الفاحشة بين الناس ونشر فكرة التخلي عن العفة والشرف والأخلاق باطنياً وظاهرياً. فمجتمعنا يُقاد اليوم نحو الهاوية.

إن العصر الذي نعيشه عصر حساس للغاية... فإذا ما تساهلنا أو أبدينا- والعياذ بالله- تنازلاً عن مواقفنا الإسلامية بدعوى السير مع التيار، فلن يبق هناك من فرق بيننا وبين الأقوام التي تعرضت للغضب والعذاب الإلهي كما أخبر عنهم القرآن الكريم.



ومن أكثر الأمثلة عبرة في هذا الصدد هو حال أصحاب السبت:

إن أصحاب السبت جماعة من بني إسرائيل، كانوا يعيشون في مدينة أيلة على سواحل البحر الأحمر. وقد حرم الله تعالى عليهم العمل والصيد يوم السبت وأمرهم بالعبادة فيه. إلا أنهم كانوا يخالفون أمر الله تعالى ويصيدون السمك في هذا اليوم. وبعد مدة من الزمن انقسم الناس إلى قسمين:

١ . قسم مذنب خالف أمر الله واقترف المحظورات والمحرمات.

٢ . قسم متدين ملتزم بأمر الله ومحب للخير.

إلا أن القسم الثاني الملتزم بدينه أصبح مع مرور الزمن أقلية، فلم يعد لكلامهم تأثير على العصاة، ولا لديهم الطاقة والقدرة على منعهم من اقتراف المعاصي.

وبعد مدة انقسم القسم المتدين نفسه أيضاً إلى قسمين:

١ . قسم حاول إرشاد العصاة ونصحهم وإعادتهم إلى الحق وجادة الصواب بشتى الوسائل، إلا أنهم سئموا



في النهاية، وأصابهم اليأس، ثم تركوا واجب الدعوة والتبليغ.

٢. قسم من المؤمنين استمروا في دعوة الناس، وإرشاد العصاة والمنحرفين وتقديم النصح لهم، وتحملوا في سبيل ذلك مختلف الصعوبات والمشقات دون سأم أو يأس. وكان عدد هؤلاء المؤمنين العاملين قليل جداً، وقد نجوا بسبب تحملهم لمسؤوليتهم واستمرارهم في القيام بواجب تبليغ الحق.

يتحدث الله تعالى عنهم في القرآن الكريم فيقول:

﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [١٥٨]

وفيما بعد قام المؤمنون الذين أدوا واجب التبليغ ببناء جدار بينهم وبين الآخرين حتى لا تطالهم المصيبة التي سوف تحل عليهم. وذات ليلة انقطعت الأصوات من الطرف الآخر من الجدار، فنظر المؤمنون فإذا

١٥٨ الأعراف: ١٦٤.



بهم قد مُسخوا إلى قردة! لم يكن المؤمنون يعرفون أقرباءهم الممسوخين، إلا الممسوخين كانوا يعرفونهم. بقي الأشقياء الذين تعرضوا للعذاب الإلهي مدة وهم يطوفون حول أقربائهم ومعارفهم المؤمنين الناجين من العذاب، وعلامات الحزن والأسى بادية على وجوههم. وعندما كان أقرباؤهم يقولون لهم:

ألم ننصحكم وننهكم عن المعاصي؟ كانوا يهزون برؤوسهم والدموع تنهمر من عيونهم. وبعد ثلاثة أيام مات جميع الممسوخين.

قال بعض المفسرين:

«إن العقاب الإلهي شمل أيضاً الذين لم يصطادوا يوم السبت لأنهم سكتوا عمن خالف الأمر الإلهي ولم ينهوهم ويحذروهم».

يقول رسول الله ﷺ:

«إن الله لا يعذب العامة بعمل الخاصة، حتى يروا المنكر بين ظهرانيهم، وهم قادرون على أن ينكروه فلا ينكروه، فإذا فعلوا ذلك، عذب الله الخاصة والعامة»[159]

---

١٥٩ أحمد، مسند، ٥/ ١٩٢/ ١٧٧٢٠.

وأمر الله سبحانه وتعالى نبيه يونس عليه السلام أن يدعو قومه أربعين يوماً. فدعاهم حتى مضى من المدة سبعة وثلاثون يوماً، فلم يهتدي قومه. فسئم من دعوتهم، وقطع أمله من استجابتهم، فخرج من بينهم دون انتظار الأمر الإلهي، فابتلعه الحوت في البحر بأمر الله تعالى. فتاب إلى الله وأخذ يذكره ويستغفره وهو في بطن الحوت، فقبل الله توبته وأنقذه من بطن الحوت. وأراد الله بذلك من كل صاحب دعوة حق الإصرار على دعوته بعزيمة وصبر وثبات.

- **تعويد الشباب على مجالس الصحبة**

يجب التوسع بحلقات مجالس الصحبة لتشمل الشباب أيضاً، لأن الاهتمام بالشباب والانشغال بهم مهم جداً. فالشباب كنز الحياة الذي لا يُقدَّر بثمن. فينبغي استغلال مرحلة الشباب في طريق الحق استغلالاً تاماً، والحرص على عدم إهدار أي لحظة من لحظاتها.

وكان النبي عليه الصلاة والسلام أكثر ما ينشغل بالشباب. ولا شك في أنه يجب الاهتمام بكبار السن

أيضاً، ولكن من ناحية المستقبل ينبغي إيلاء الشباب أهمية أكبر. فرؤية مستقبل الأمة ليست مسألة كرامة، وإنما يكفي لاستشفافه ورؤيته ومعرفة طبيعته النظر إلى حال أطفال الأمة وشبابها. فإن كانوا يسخرون طاقاتهم وقدراتهم وإمكاناتهم في طريق الخير، والمعنويات، والفضيلة فمستقبل الأمة مشرق. وأما إن كانت الطاقات والإمكانات تصرف تبعاً لأهواء النفس ورغباتها ولتحصيل ملذات الدنيا ومتعها، فعاقبة الأمة مظلمة ووخيمة.

لهذا يجب إيجاد مدخل للنفوذ منه إلى روح الشباب، وتحبيبهم بمجالس الصحبة، وإضفاء حيوية أكثر على هذه المجالس بحضورهم. ويجب لتحقيق ذلك تنظيم مجلس الصحبة بما يتلاءم مع حالتهم الروحية؛ وكذلك ينبغي بين الحين والآخر إجراء كشف أو استبيان بحق الجميع لمعرفةما إن كان كل واحد منهم راضياً عن حاله أم لا؟ وهل ينال الفيوض، ويشعر بالروحانية أم لا؟ وهل يستمر في حضور المجالس بانتظام أم يحضر بشكل متقطع؟



• الأطفال والصحبة

إن الأطفال أمانة إلهية أُكرم بها الوالدان، وقلوب الأطفال الصافية والطاهرة والنقية المسلَّمة للوالدين وهي على الفطرة الإسلامية جوهر خام جاهز للتصنيع والاستعمال مثل الأرض الممهدة النظيفة. وإنتاجها للأشواك أو الأزهار، أو الثمار الطيبة أو الخبيثة في المستقبل متوقف على طبيعة البذور التي تُزرع فيها.

إن أهم فترة لبدء التربية والتعليم تمتد بين العام الأول إلى العام السادس من العمر. ففي هذه الفترة ينبغي تعويد الطفل على قول البسملة، والحمد لله، وتعريفه بكتاب الله عَزَّ وَجَلَّ.

يتحدث الإمام مالك رحمه الله عن أحد مناهج التربية الذي يُعد نموذجاً مهماً للآباء والأمهات، فيقول:

«كنت كلما حفظت حديثاً أهداني أبي هدية، حتى جاء وقت صرت أشعر فيه بلذة حفظ الحديث وإن لم يعطني أبي الهدية».

لذا ينبغي إعطاء الأطفال إذا ما أحسنوا التصرف هدية لتأكيد ذلك الفعل وتشجيعهم على الثبات عليه،

وذلك انطلاقاً من مبدأ «المعرفة تتبع الثناء». وبالمقابل ينبغي عدم التغاضي عن الأطفال إذا ما أقدموا على فعل أو سلوك خاطئ، وإنما يجب الاهتمام والعناية بتشكيل شخصيتهم بصورة سليمة وصحيحة من خلال توجيه التنبيهات والتحذيرات اللازمة كلما اقتضى الأمر ذلك.

هناك مشاعر وعواطف طبيعية وفطرية موجودة في قلب كل أب وأم تجاه أبنائهما، مثل: حب الأبناء أكثر من أنفسهم، وحمايتهم من الأخطار، والحرص على إطعام الأبناء وحرمان أنفسهم، والقلق عليهم أكثر من أنفسهم. إلا أن الشفقة والعطف الأساسي بالأبناء، والتضحية الحقيقية في سبيلهم هي السعي لتأمين مستقبل جيد وسليم لهم من الناحية المعنوية أيضاً.

فانتفاع الآباء والأمهات من مجالس الصحبة المعنوية وترك الأبناء محرومين من مثل هذا الوسط الروحاني لا يليق أبداً بعطف وحنان الأبوة والأمومة. فينبغي للآباء والأمهات بذل جهدهم لإذاقة أبنائهم لذة روحانية الصحبة التي تلقوها من خلال نقل وإلقاء ما سمعوه هناك على مسامعهم بلسان طيب وبأسلوب جميل وبسيط يتماشى ومستوى تفكيرهم ووعيهم.



وبناء على ذلك فإن إحدى أهم المهام التي لا ينبغي إهمالها هي تنظيم حلقات صحبة تتلاءم مع أعمار الأطفال ومستوى تفكيرهم، وتحبيبهم بهذا المنهج الجميل. فحرمان الأطفال من مجالس الصحبة المعنوية بدعوى صغر سنهم يُعد من أكبر الأخطاء المرتكبة في يومنا هذا والذي أُهملت بسببه التربية المعنوية إهمالاً لا يوصف.

ولا شك أنه ينبغي لمن يتولى وظيفة وعظ الأطفال وإرشادهم في مجالس الصحبة أن يكون مطلعاً وعارفاً بالحالة النفسية لدى الأطفال معرفة جيدة. وأعظم مثال ونموذج لنا في هذا الميدان هو رسول الله ﷺ. فينبغي البحث جيداً في السيرة النبوية لاستخراج الأجوبة على الأسئلة المتعلقة بمنهج التربية الذي اتبعه في تربية الأطفال وتطبيقها على أرض الواقع. ومن هذه الأسئلة:

كيف ربى النبي عليه الصلاة والسلام الإمام علي وأنس بن مالك اللذين وضعا أمانة لديه وهما في سن الطفولة؟ وكيف وجد منفذاً يدخل منه إلى قلبهما؟ وأي منهج تربية اتبعه؟



كان الشيخ محمد ضياء الدين من حين لآخر يجمع الأطفال الصغار حوله، ويعقد معهم مجلس صحبة ويحدثهم. وذات مرة سألته امرأته بعد انتهاء المجلس:

ما الذي يفهمه هؤلاء الصغار من هذا المجلس والحديث؟

فأجابها الشيخ:

إنهم يستفيدون نوعاً ما. إلا أن هدفي الأساسي ليس أن يفهموا شيئاً، وإنما أهدف لشيءٍ آخر، وهو أن مجالس الصحبة تجلب الرحمة الإلهية، وأنا أسعى وراء تلك الرحمة. وهؤلاء الأطفال وسيلة لذلك...



وصفوة الكلام أن العلامة التي تدل على تحصلينا الفائدة من مجالس الصحبة من عدمه إنما هي مدى سعينا ومجاهدتنا لنشر الفيوض القلبية والروحانية التي ننالها من هذه المجالس على من حولنا. إذ إن ديننا الإسلامي هو دين الإيثار؛ ولا يقبل بالأنانية والسعي خلف المنفعة والمصلحة الشخصية الصرفة. وإنه يعلِّم أتباعه أن خلاصهم إنما يمر عبر الخدمة والسعي في خلاص الآخرين.



فما أسعد المؤمنين الذين يجعلون قلوبهم معيناً للرحمة والشفقة التي هي أولى وأعظم ثمار الإيمان ويسقون منها جميع المخلوقات!..





إن الله سبحانه وتعالى يقدم لنا رسوله الكريم عليه الصلاة والسلام وأصحابه الكرام نماذجاً لنقتدي بهم. فقد صار الصحابة الكرام مظهراً لثناء الله تعالى ومدحه لأنهم ملؤوا قلوبهم بمحبة رسول الله، وأطاعوه واتبعوه في كل شؤونهم، وتخلقوا بأخلاقه السامية. وإن السبيل الذي تنال من خلاله أمة محمد الرحمة والرضا الإلهي إلى يوم القيامة إنما هو اتباعهم لرسول الله ولأصحابه الكرام.

فقد جاء في القرآن الكريم:

﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [١٦٠]

---

١٦٠ التوبة: ١٠٠.



فالله تعالى جعل أهله وأولياؤه الذين جاؤوا بعد عصر الصحابة الكرام وهم «الذين اتبعوهم بإحسان»، مقياساً وميزاناً فعلياً لنا. ولهم كما جاء في القرآن الكريم مقام ومكانة عالية ورفيعة عند الله تعالى:

﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [161]

ولا شك أنه لنيل نصيب من هذا الضمان الإلهي، لا بد له من السير على نهج أولياء الله وأهله.

وإن لمجالس الصحبة المعنوية مكانة مهمة ومتميزة في تربية مجتمع عصر النبي وأولياء الله الذين امتدحهم الحق سبحانه وتعالى وأثنى عليهم. وبناء على ذلك فإننا كلما اشتركنا في مجالس الصحبة هذه بحس العبادة، حصَّلنا فائدة أكبر. يقول مولانا جلال الدين الرومي:

«من الشمعة الواحدة تشتعل الشموع الأخرى».

فمصدر فيوض القلب في مجالس الصحبة المعنوية التي تنعقد بمراعاة آدابها وأصولها هو النور المحمدي. ولا بد لنا لإيقاد قناديل قلوبنا بذلك النور اللامتناهي من المداومة على مجالس الصحبة بصدق وإخلاص،

---

١٦١ يونس: ٦٢.



والاستفادة من الرحمات الإلهية التي تتنزل فيها، ومن انعكاس الحال الذي يسري من قلب إلى قلب هناك.

لقد حاولنا في كتابنا المتواضع هذا وضمن إمكانات الكلمات المحدودة أن نغترف ولو غرفة صغيرة من حال رسول الله ﷺ ومقاله، وأصحابه الكرام وأولياء الله الصالحين، ومن مجالس صحبتهم.

نسأل الله ﷻ أن يوفِّقنا جميعاً لتحصيل الفائدة من مجالس الصحبة المعنوية ونيل نصيب من التأسِّي برسول الله ﷺ والصحابة الكرام والأولياء الصالحين! ونسأله أن يملأ قلوبنا بمشاعر الوحدة والأخوة الإسلامية، وبالعزم والإصرار على صحبة الصالحين والصادقين!

آمين!..





فهرس







